الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة-

كلية العلوم الانسانية والعلوم الإجتماعية

قسم الفلسفة

العنوان :

الخير والشر في فلسفة توما الإكويني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص فلسفة القيم

إعداد الطالبة:

لامية بن مداح

إشراف الأستاذ:

د–ضيف الله خوني

السنة الجامعية: 2017/2016

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى اغلى ما أكتنز في هذا الوجود

والدي الكريمين أطال الله بعمرهما

المداني و رزقية

وإلى كل من إخوتي وأخواتي زهير

ونبيل وأختي صليحة وزوجها السعيد

وإلى الأصدقاء وكل من ساعدني

في هذا البحث ولو بكلمة طيبة

شكر وعرفان

في البداية نحمد الله ونشكره الذي أعاننا ووفقنا في عمل هذا البحث

وأتوجه بالشكر الخالص للأستاذ الذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته التي

أنارت لي طريق عملي

الأستاذ الدكتور :ضيف الله خوني

وأيضا أتوجه بالشكر إلى جميع أساتذة قسم الفلسفة بجامعة لمسيلة الذين

رافقوني طيلة مشواري الدراسي

ولا أنسى زملائي الطلبة الذين ساعدوني ولو بالكلمة الطيبة في

إعداد هذا البحث

مقدمة:

إن الله لم يخلق الإنسان من عبث، فالحياة عبارة عن مرحلة بمثابة إختبار للإنسان، أو بمثابة طريق لبلوغ المصير، فمنذ أن خلق الله الإنسان إبتداءا بآدم زوده بالعقل لكي يستطيع التمييز بين الأمور، وخصوصا بين الخير والشر فمصير الإنسان يتحدد من خلال أفعاله، فوضع لهم قواعد أخلاقية ومبادئ من يتبعها يحيا حياة سعيدة، ويكون مصيره جيدا، أما من يسير عكس هذه المبادئ يكون مصيره سيئا ويحيى حياة شقاء ولكن الإنسان منذ خليقة أبيه آدم سار عكس التيار ولم يتبع هذه القوانين الإلهية،ومنذ ذلك اليوم انكشف للإنسان ما يسمى بالخير والشر واتضحت له الأفعال الخيرة من الأفعال الشريرة والسيئة، وأصبح الإنسان يعيش في عالم يختلف عن عالم السلام الذي منحه الله لآدم قبل اقتراف الخطيئة، فانتقل من عالم مليء بالنعمة الإلهية والمحبة الخالصة إلى عالم يشوبه الخوف والقلق وتسيطر عليه القوة والهيمنة والسيطرة، لذلك الخير والشر في القانون الإلهي بمثابة مبدأ لتمحيص قلوب البشر، فحبل الإنسان بين الحياة الدنيا وحياة ما بعد الموت، هو حبل أفعاله الخيرة والشريرة، فما يظهر في الحياة جراء أفعال الإنسان من خوف وقلق واضطراب، وفساد وقتل ودمار وظلم، هي دوامة من الشرور التي تحارب الخير الذي خلقه الله منذ خلقه للعالم ،فالخير والشر نقيضان بالرغم من أن الشر جزء من الخير كما سيتضح، لذلك هذه الحرب بين الخير والشر بدأت منذ اقتراف الخطيئة إلى يومنا هذا، ولا يمكن أن نتذكر أن الخير والشر هما معيارا الحكم على الإنسان إن كان صالحا أم طالحا.

فنلاحظ أن الطبيعة الإنسانية منذ آدم كانت جاهلة بالخير والشر وماهيته، لكن المحيط هو من وضع إشارات ومفاهيم وطرق لاتضاح هذه الماهية للبشر، لذلك الإنسان كلما كان محيطه متشعبا وممتلئا بالخير تولدت في نفسه وفي طبيعته البشرية قيم الخير والمحبة والفضائل، وكلما كان المكان الذي يعيش فيه ينبض بالشر والآلام والمصاعب زرعت في ذاته قيم الشر وتولدت.

لذا هذا الموضوع المتشعب نجد أنه يفتح على دارسه بابين إما أن يعالج الخير والشر كونه صنع الخالق، والمبدأ الأول لكل الأشياء، وإما أن يعالجه كونه صنع الإنسان الذي دفعته مساعيه إلى عدم التفريق بين أهدافه ومبادئ أعماله وعدم التحكم فيها، مما يعني انغماس الإنسان في ملذات الحياة الدنيا ونسيان وضع حدود ومعايير تدق عليه ناقوس الخطر عند الضرورة.

ومن هنا نجد أن موضوع الخير والشر، كان محور اهتمام الفلاسفة عبر العصور أي منذ العصور القديمة حتى عصرنا هذا، وأخذنا الحقبة الوسيطية أي (العصر الوسيط)وعلى وجه الخصوص العصر المسيحي وتوما الإكويني

كأنموذج لدراسة ومعالجة هذه الإشكالية المتضمنة الخير والشر عند توما الإكويني، فهذا الأخير فلسفته وفكره يشملان جميع المجالات إبتداءا من الطبيعة البشرية الأولى، إلى المعرفة وصولا إلى الإله. وموضوع الخير والشر عنده موضوع لا يكاد ينفصل عن هذه المواضيع، فبمجرد التعمق فيه نجد الصلة واضحة إلى درجة أنه لا يمكن التطرق إليه دون المرور بهذه المواضيع .

لقد حاول توما الإكويني أن يفسر كيفية ظهور الخير والشر في العالم، وما هي نتائجه باعتباره كما سبق وذكرنا هو حبل الإنسان بين العالم المحسوس والعالم المعقول، آخذين بعين الاعتبار صلة هذا الموضوع بالمواضيع التي درسها توما الإكويني، واستخلاص اللب فقط الذي يفيدنا في معرفة الخير والشر عند هذا القديس، وتسليط الضوء على أفكاره الأخلاقية في الحقبة التي عاشها.

فالبحث الفلسفي في الجانب الأخلاقي للقديس توما الإكويني يجعلنا نكشف عن القيم الأخلاقية التي كانت سائدة في العصر المسيحي، وكيف كانت الطبيعة البشرية آنذاك، بالإضافة إلى أن الخير والشر بالنسبة إلى فلاسفة الأخلاق كما أعتقد أنه كفاح مستمر للحياة الإنسانية لبلوغ مساعيها وأهدافها، والكشف عن قيمة الأفعال فيها ، فجهد الإنسان في البحث عن أهدافه يجعله ينزع الستار عن هذه القيم .

لذلك سندرس الخير والشر عند توما الإكويني إبتداءا من آدم وصولا إلى الإنسان المسيحي، والكشف عن مراحل الخير والشر وتطورها عبر التاريخ في نظره، لأن الجانب الأخلاقي في الإنسان يولد فيه كفطرة ويموت به كوسيلة إما للخلاص والنجاة أو العقاب والشقاء .

فاختيارنا لموضوع الخير والشر، سببه هو أن الإنسان منذ الخليقة إلى اليوم يرهقه كثيرا الجانب الأخلاقي من حياته، واختيار تلك الحقبة بالذات، كون توما الإكويني فكره ليس محضا أو بصيغة أخرى ليس فكرا أصليا عمل على اكتشافه بمفرده دون مساعدة أحد، بل في بعض المطارح والمواضيع يظهر أنه امتداد لمن كانوا قبله، وهذا ما جعله متميزا كونه لا ينفي ما سبقه بل هو امتداد وتجديد وتغيير.

وبما أننا بصدد تناول أحد الموضوعات التي لها صلة بالله من جهة، وبالإنسان وسلوكه من جهة أخرى، اخترنا وتبادر لنا طرح إشكالية التالية لمعالجة هذا الموضوع عند القديس توما الإكويني وهي:

إذا كان الإله حسب توما الإكويني هو خالق الإنسان وخالق كل شيء على وجه الأرض، وهو من له القدرة على تحريك الأشياء سواء إلى الخير أو إلى الشر هذا من جهة،ومن جهة أخرى إذا كان الخير والشر هما انفعالات تحدث في الإنسان من خلال سلوكه، فهما إذن يتعلقان بالفعل والسلوك الإنساني.

لذلك الإشكال العام يتمحور حول السؤال التالي : هل الخير والشر في العالم من صنع الإنسان أم من صنع الإله؟ وكيف يظهر الخير والشر في العالم الإنساني؟

وتتفرع تحت هذه الإشكالية أسئلة جزئية منها :

- ما هو مفهوم الخير والشر؟
- ما هي علاقة الخير والشر بالإنسان و بالإله ؟
- كيف تجسدت فكرة الخير والشر في الطبيعة البشرية بعد آدم ؟

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع لجانبين ، موضوعي وذاتي ، أما الجانب الموضوعي :فهو تسليط الضوء على الجانب الأخلاقي للقديس توما الإكويني ،وإزاحة الستار على الأخلاق المسيحية ،حيث أن العصر الوسيط من أبرز الإشكاليات التي كانت مطروحة فيه هي التي تتعلق بالجانب اللاهوتي .

أما الجانب الذاتي ، فميلي الشخصي للمواضيع الأخلاقية ،التي تتناول حلول للمشكلات الإنسانية .

ولقد اعتمدنا في هذا البحث على **المنهج التحليلي** لدراسة موضوع الخير والشر عند توما الإكويني دراسة معمقة، ومعرفة حقيقة الخير والشر وكيفية التمييز بينهما ، ليتضح للإنسان ما هو الخير بالنسبة إليه وما هو الشر ،وما سيتبع وما سيتجنب .

وفق خطة تقوم على ثلاثة فصول ، يندرج تحت كل فصل ثلاثة مباحث تناقش الإشكالية المطروحة ، وختمنا بحثنا بخاتمة كحوصلة عبارة عن مجموعة من النتائج التي تعتبر حلا للإشكالية .

أما **المقدمة** هي عبارة عن تمهيد للموضوع وتحديد لأهم المفاهيم ،بالإضافة إلى طرح الإشكال الذي يبين لنا المفارقة الموجودة في ثنايا هذا الموضوع .

والفصل الأول عنوناه ب:منطلقات الخير والشر ،تناولنا فيه تعريف الخير والشر كمفهومين ،باعتبارهما الكلمات المفتاحية للموضوع ،ثم تناولنا الخير والشر في المسيحية كونها الحقبة التي عاش فيها الأنموذج المتناول ، وأنهيناه بالحديث عن الفعل وطبيعته عند توما الإكويني كون الفعل هو محور موضوع الخير والشر

والفصل الثاني : بعنوان تجليات الخير والشر في الإنسان ،ويندرج تحته ثلاثة مباحث حاولنا من خلالها معالجة الأفعال الصادرة عن الإنسان وتصنيفها ضمن ميزان الخير والشر.

والفصل الثالث : ناقشنا فيه العلاقة الموجودة بين الخير والشر و الجانب اللاهوتي كون توما الإكويني قديس بالدرجة الأولى فلسفته تتضمن كلا من العقل و النقل .

وأنهينا البحث بخاتمة كإجابة على الإشكالية المطروحة في المقدمة.

الفصل الأول :

منطلقات فكرة الخير والشر

المباحث :

- الخير والشر كمفهوم
- الخير والشر في الفلسفة المسيحية
- طبيعة الفعل الإنساني عند توما الإكويني

تمهيد:

إن مسألة الخير والشر كانت ولا تزال تمثل تحديا للإنسان على امتداد التاريخ البشري، فهي من أكثر المواضيع التي طرحها الإنسان بصيغة السؤال، فاحتياج البشر للتفريق والتمييز بين الخير والشر جعل الفلاسفة والأدباء والمفكرين لوضع منظومة مفاهيمي، لتوضيح ماهية الخير وماهية الشر باعتبارهما موضوع من خلاله تتحدد سلوكات الأفراد أخلاقيا، لذلك دعت الضرورة إلى تحديد مفهومي الخير والشر لكي يضع الإنسان رقابة على نفسه انطلاقا من معرفة المعنى، وبالرغم من اختلاف المفاهيم والتصورات إلا أن المسعى واحد وهو تحقيق الاتزان السلوكي للفرد، وتبعا لهذا اعتمدنا توضيح ماهية كل من الخير والشر للإجابة عن التساؤل التالي :

1. ما هو الخير وما هو الشر؟
2. وما هي طبيعة الفعل الإنساني؟

المبحث الأول : مفهوم الخير والشر

إن الخير والشر من بين المفاهيم التي يجب أن يكون الإنسان على دراية بها، فالعلم بالشيء يجعلنا نتجنب مساوئه لذلك حاولنا ضبط المفهوم سواء من الجانب المعجمي أو من الجانب الفلسفي لإظهار المعنيين.

1- الخير :

" الخير كمصطلح هو اسم تفضيل لقولنا الحياة خير من الموت ،وهو يدل على الحسن لذاته وعلى ما فيه نفع أو لذة أو سعادة وعلى المال الكثير الطيب، وهو بالجملة ضد الشر لأن الخير هو وجدان كل شيء وكمالاته اللائقة، أما الشر فهو ما به فقدان ذلك "[1] وهذا يعني أن الخير شيء أو حالة مرغوب فيها تحقق متعة أو منفعة وهذا ما يرغب فيه الإنسان عامة وما يسعى إليه ليحقق كمال النفس، فمنذ القديم نجد أن الإنسان يميل بالفطرة إلى الخير وينفر من الشر.

والخير يعني في بعض معانيه الكمال ،أما الشر فيعني النقصان، كما نجد معظم الفلاسفة يطلقون الخير على الوجود والشر على العدم، وقد ميز " جورج إدوارد مور" بين كلمتي الخير the good وخير good، فكلمة الخير تعني خبرات معينة توصف بأنها خيرة، أما "خير " فهي خاصية فريدة، بسيطة وغير قابلة "[2] ومن خلال هذا أكد مور أن الخير لا تعريف له لأنه بسيط لا يقبل التحليل.

أما جون ديوي* فهو يقول " أن البحث عن الخير بمعنى أنه خاصية مشتركه بين كل خبرات الخير، محكوم عليه بالفشل "[3] وهذا الرأي لأن نظرة ديوي كانت نظرة ميتافيزيقية

---

[1]- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1982، ص548.

[2]- رمضان الصباغ: الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،ط1، 1998،ص204،203.

*-جون ديوي:(1859-1952) فيلسوف أمريكي، نشر داروين دراسته عن أصل الأنواع وهكذا كانت نقطة انطلاقه، يؤمن بالمنهج التجريبي. جورج طرابيشي :المعجم الفلسفي، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006،ص311.

[3]- المرجع نفسه، ص 204.

فحسب رأيه الطبيعة البشرية شديدة المرونة بفضل أبعادها الثقافية والتاريخية، فما هو مرغوب فيه في ثقافة معينة يختلف عن المرغوب فيه في ثقافة أخرى ،لذلك أعتبر أن الخير النهائي مفهوم خاطئ وشنيع، لأنه وكما سبق يذكر بمرونة الطبيعة الإنسانية، كما أنه يرفض التمييز بين الخير الأصلي، والخير غير الأصلي.

فمسألة الخير من بين أهم المواضيع التي عالجها الأدباء والمفكرين والفلاسفة، وحتى العلماء منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا. فنضيف على جون ديوي و مور، فلاسفة ومفكرين آخرين. مثلا الشعراوي في كتابه الخير والشر قال "**الخير هو ما يوصل لغاية ليس بعدها بعد، فالإنسان يولد في الدنيا ،ثم يكبر، ثم يحصل على شهادة ويتخرج من الجامعة ،ثم إلى الماجستير، ثم إلى الدكتوراه ويعيش عمره في الدنيا ثم بعد ذلك يموت.... ثم يبعث. فإن كان صالحا دخل الجنة وهذا هو النعيم** "[1] وهذا يعني أن الجنة ليس هناك غاية بعدها وهي الخير الأقصى الذي يمكن للإنسان الوصول اليه، فمن خلال مثال الجنة عبر قوله " الخير هو ما يوصلك لغاية ليس بعدها بعد. فالهدف من الحياة هو بلوغ النعيم أو الجنة.

يقول الشعراوي أيضا " **إذا كنا نريد أن نعمل من أجل الخير، فالخير الحقيقي هو ما يأتي من الله سبحانه وتعالى لأنه هو الشيء الباقي الذي لا يزول، وهو الشيء الذي يزيد ولا ينقص. .. ينمو ولا يقل، فكل ما في الدنيا يقل ماعدا الخير عند الله تبارك وتعالى، فإنه يضاعفه أضعافا مضاعفة** " [2] وهو يعنى بقوله هذا أن الإنسان إذا أخضع كل ما في الدنيا للقانون الإلهي كان خيرا وإذا أخرجه من الميزان الإلهي كان شرا، فمثلا نأخذ المال على سبيل المثال إذا استخدمه الإنسان في إعانة الفقير واليتيم وفي صالح الأعمال كان خيرا له، أما إذا لم يحسن استعماله سيعود عليه بالشر.

[1]– الشعراوي: الخير والشر، مكتبة الشعراوي الإسلامية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص58.

[2]– المرجع نفسه، ص 60.

أيضا نذكر بعض الآراء حول مسألة الخير، فكما ذكرنا سابقا معظمهم ربطوا الخير بالوجود. فمثلا قال أفلاطون* الخير هو المبدأ الأسمى والموحد لعالم المثل [1]. مسألة الأخلاق عند أفلاطون أخذت حيزا كبيرا، لذلك مسألة الخير اعتبرت من الجانب النظري للأخلاق، فقد جعل الخير هو السلوك الذي يساعد النفس على الوصول إلى العالم الأسمى وهو عالم المثل، واعتبره وحدة واحدة وجعله المبدأ الاسمي الموحد لعالم المثل ووضعه في مرتبة الرئيس، فهو يرى أن الخير الأقصى والخير المطلق هو السعادة وهذه الأخيرة هي غاية الغايات عند أفلاطون ،بالإضافة إلى ذلك ربط الخير بالجمال فحسب رأيه الحكم الجمالي يبنى من منطلقات أخلاقية.

وفي نفس المقام نجد كانط* يقول " **إن الشيء لا يكون خيرا بدون أهلية لذلك ماعدا الإرادة الخيرة (إرادة الخير)** [2] " فالأفعال تكون خيرة أو تكتسب هذه الصفة عندما تكون منبثقة عن إرادة خيرة، فحسبه السعادة التي تنبثق أو تكون نابعة من إرادة خيرة هي خير للأفراد.

أيضا نجد الباحثون في نظرية القيمة، منهم من لا يسأل عن ما هي القيمة أو ما هو الخير بل عن ما يكونه الخير، مثل " أبيقور* " و " أرستيبس " في الفكر اليوناني قالا " **اللذة هي الغاية القصوى أو الخير الأعظم** "[3] فحسب هذا القول يتم التأكيد أن غاية البشر أو جميع البشر يطلبون اللذة ويتجنبون الألم للنعيم بحياة سعيدة والتمتع باللذات بعيدا عن الآلام والشرور.

---

*– أفلاطون:(427–347ق.م) فيلسوف يوناني، تأثر بسقراط، هو أول من استخدم كلمة فلسفة، مؤلفاته كلها محاورات .فؤاد كامل :الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص53.

[1]– رمضان الصباغ: الأحكام التقويمية في الجمال و الأخلاق، ص 45 .

*–كانط.:(1724–1804)فيلسوف درس الرياضيات والطبيعة والفلسفة، تأثر بليبنتز وهيوم .فؤاد كامل :الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص329

[2]– رمضان الصباغ: الأحكام التقويمية في الجمال و الأخلاق، ص 63 .

*– أبيقور.(341–271ق م):فيلسوف يوناني صاحب مذهب الأبيقورية .جورج طربيشي :معجم الفلاسفة، ص40

[3]– رمضان الصباغ الأحكام التقويمية في الجمال و الأخلاق، ص 79.

سقراط* كذلك كان له بعض الأقوال في فكرة الخير، ففي محاورة "سقراط لغلوكون" قال له " **فلتعلم علم اليقين أنه ما يخضع الحق في المعقولات ويمنح العارف القوة على المعرفة هو مثال الخير، قل انه علة العلم وسبب الحق من حيث أنهما يعرفان، ومهما يكن جمال المعرفة والحق فلتعلم وأنت على صواب أن مثال الخير متميز عنهما ويفوقهما في الجمال، فكما أنت في العالم المرئي تعتقد اعتقادا صحيحا أن الضوء والبصر يشبهان الشمس، أو بالأحرى أنهما الشمس ذاتها. كذلك في العالم العقلي نحن على صواب إذا اعتقدنا أن كلا من المعرفة والحق يشبهان الخير، أو هما الخير لأنه أرفع منزلة** " [1] وهذا يدل على أن الإنسان كلما عرف أو كلما بلغ جزءا من المعرفة أو الحق هو بذلك استطاع بلوغ الخير.

بالإضافة إلى سقراط نجد "أرسطو** " أيضا كانت له بصمة في علم الأخلاق حتى أنه ربط بين الأخلاق والسياسة ،لأنه يرى أن الأخلاق تبحث في تكوين الفرد وتعده ليكون مواطنا صالحا قادرا على تحمل المسؤوليات السياسية، وهذا ما جعل أرسطو يكتشف أنه لابد من معرفة غاية الحياة فعلى الإنسان أن يعرف أو يحدد الهدف الذي يريد بلوغه ويجعله نصب عينيه فهو يقول " **إن كل موجود بشري لابد من أن يهدف إلى تحقيق خير ما** " [2] وبهذا أعتبر أن الغاية التي يسعى إليها الإنسان هي الخير في حد ذاته، فهذا الأخير هو ما تسعى إليه جميع الأشياء كونه الغاية القصوى التي تحقق كل ما يجلب السعادة للإنسان.

---

* – سقراط.:(470–399ق م) فيلسوف يوناني، أكثر الناس حكمة، استخدم التهكم ليستنطق الناس .جورج طربيشي: المعجم الفلسفي، ص365

[1]– أحمد فؤاد الأهواني: أفلاطون، دار المعارف، ط1، ص 201.

** – أرسطو :(384–322ق م)فيلسوف يوناني :أعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني .جورج طربيشي: المعجم الفلسفي، ص52 .

[3]_محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1998، ص 74،75.

وفي كتابه علم الأخلاق إلى نيقوماخوس " أكد أن الخير هو غرض أفعال الإنسان جميعا ،حيث قال "**كل الفنون وكل الأبحاث العقلية المرتبة، وجميع أفعالنا وجميع مقاصدنا الأخلاقية يظهر أن غرضها شيء من الخير ترغب في بلوغه، فالخير هو موضوع جميع الآمال**[1] وهذا يعني أن الإنسان يرى دائما أن غاية فعله هي تحقيق الخير حتى وإن كان فعله يؤدي إلى الشر فهو غالبا ما يعترف بذلك، وهذا ليس عن عمد أنه لا يعترف بفعل الشر بل هو جهل منه ومعرفة بأنه دائما على صواب وان جميع أفعاله خيرة.

وعندما ربط أرسطو الأخلاق بالسياسة قال "**فمن المحقق أن الخير متماثل بالنسبة للفرد وبالنسبة للمملكة** [2] فالخير يكون أجمل وأعظم متى تحقق للأمة بأسرها أو مملكة بأكملها فغرض السياسة حسب رأيه هو تحقيق الخير، فقوله أن الخير متماثل يعني أن الفرد يسعى إلى تحقيق الخير في حياته وهذا يعود على مملكته، بالإضافة إلى أن الخير في السياسة يعود على السياسيين نفسهم ثم على الأفراد في الأخير.

وكما ذكر أرسطو أن الخيرات والغايات متنوعة من فرد لأخر، هذا جعله يبحث عن الخير الأقصى الذي يمكن أن يوحد الغايات كلها ويصبح المثل الأعلى الذي تشترك فيه الناس. فقال بأن السعادة هي ذلك الخير الأقصى الذي تشترك فيه الغايات قائلا "**الناس يطلبون الخيرات الأخرى مثل اللذة والقوة والثروة والحكمة من أجل السعادة، لكنهم لا يطلبون السعادة من أجل شيء أبعد منها لذلك كانت هي الخير الأقصى** [3]

وإذا ذهبنا إلى فلاسفة العصر الحديث نجد " ليبنتز[*]" يقول " **الكمال هو الخير الطبيعي**"[1] والكمال حسب ليبنتز هو كل ما يرفع من شأن النفس فهو قوة العمل ،ولكل كائن

---

[1]– أرسطو طاليس: علم الأخلاق إلى نيقوماخوس،ج1، نقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، دار المكتبة المصرية، ص767.

[2]– المصدر نفسه، ص 176.

[3]– محمد مهران رشوان : تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، ص 76.

[*]– ليبنز:(1646–1716)أعظم فيلسوف ألماني قبل كانط، عالم رياضيات ولاهوتي وكيميائي وهندسي، جورج طربيشي :المعجم الفلسفي، ص578

قدرة من هذه القوة، فهذه القوة هي التي تحدد منزلته، فبقوله أن الكمال هو الخير الطبيعي، يعني أن الخير الطبيعي هو نقطة البداية لبلوغ الخير الأخلاقي ،فاللذة هي الشعور بالكمال، والكمال لا يختلف عن السعادة وبالتالي الكمال هو السعادة فهما حدان متطابقان.

بما أن معظم الفلاسفة يقرون أن السعادة هي الغاية القصوى من الخير نجد أنه هناك مذاهب عديدة للسعادة في القديم كان لها الرأي في هدا المبحث فمذهب السعادة الشخصية ومذهب السعادة العامة قالا " **ليس هناك عمل خير في ذاته ولا شر في ذاته ،وإنما العمل يحكم عليه بأنه خير أو شر تبعا لنتائجه** " [2] هذا يدل على ارتباط الخير بالأفعال ونتائجها فمقاصد الأعمال ونتائجها الواضحة هي التي تجعلنا نطلق الأحكام سواء بالسلب (الشر) أو الإيجاب (الخير)، فإن كانت النتيجة نافعة وتحقق لذة وسعادة معينة نطلق صفة الخيرية على ذلك الفعل، وإن كان العكس نطلق صفة الشر عليه وحسب هاذين المذهبين العمل والفعل كلما اقترب إلى تحقيق السعادة هو عمل خير.

وننهي موضوع الخير بمقولة في إحدى الكتب حيث روي عن سير ريتشرد بورتن أنه يقول " **ليس في الوجود خير ولا شر فما هذان إلا من صنع أهواء البشر، فما يسعدني أسميه خيرا وما يشقيني ويؤذيني أعده شرا ،وهذان يتغيران في العصر الواحد بتغير المكان واختلاف الأجناس، إن كل رذيلة قد لبست يوما تاج الفضيلة ،وكل فضيلة قد حرمت يوما على أنها خطيئة أو جريمة** "[3] وهذا أن دل على شيء فهو يدل على أن الخير ما هو إلا وهم في كتب الأخلاق فالخير الحقيقي بالنسبة للإنسان العادي يختلف عن الإنسان العالم، فبالنسبة للإنسان العادي حتى وإن كانت الرذيلة تحقق منفعة خيرة فهي خير في نظره ،لكن العكس بالنسبة للعالم أو المفكر، الرذيلة تبقى رذيلة حتى وإن لبست تاج الفضيلة وحققت خيرا للأفراد، لهذا فالخير هو ما يحسبه الإنسان أنه خير، ولكل إنسان الحق في رؤيته لنتائج

---

[1]– عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، طلاس للترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1986، ص 89.

[2]– أحمد أمين: كتاب الأخلاق، دار الكتاب العربية بالقاهرة، ط3، 1931م، ص 63.

[3]– لويز ويكنسون: فلسفة الخير، تر: رمزي حليم يسى، مكتبة الأنجلو العربية، د.ط، 2001، ص 25،26.

الأفعال، لذلك يظل الخير مطلبا إنسانيا يطلبه ويسعى إليه جميع البشر بالرغم من اختلاف الآراء والمفاهيم حوله.

2 – الشر :

الشر في معجم المصطلحات هو السوء والفساد، يقال رجل شرير أي ذو شر، وهو شر الناس، أي أسوئهم وأكثرهم فسادا وهناك أنواع عديدة للشر، الشر الطبيعي ويطلق على كل نقص مثل التشوه الخلقي والمرض، والشر الفلسفي ويطلق على نقصان كل شيء عن كماله وهو إما أن يكون بالذات أو العرض ،وأهم هذه الأنواع من الشر وهو النوع الأخير، الشر الأخلاقي ويطلق على الأفعال المذمومة وعلى مبادئها من الأخلاق ،وبمعنى أخر هو الرذيلة أو الخطيئة [1]. وهذا يدل على أن الشر لا يقتصر على مجال معين بل يشمل جميع الأشياء في جميع المجالات، لكن كل حسب تصنيفه.

لذلك إذا كان الخير هو الرغبة في ترقي القيم فإن الشر هو الحركة المضادة التي تهدف إلى الانتقاص من القيم والعمل على هبوطها، وهذا يعنى أن الشر حركة سلبية توقف نضج الحياة الخلقية وازدهارها ،وهو بمثابة عرقلة لترقي القيم وكمال النفس البشرية; إن الإنسان من المستحيل أن يكون كاملا أو في حالة نقاء تامة أو طهارة لأن لديه رغبات متعارضة تدفعه إلى الاستهانة بمبادئ أخرى خيرة، وبالتالي الخروج على القواعد الخلقية مما يجعل الحياة الخلقية في صراع مستمر باعتبارها مظهر للتكامل، وبما أن الشر تحت حقيقة مزدوجة طرفها الأخر الخير، فإن إمكانية الشر هي سبب لبلوغ إمكانية الخير فلولاها لكان الخير ضربا من المحال.

وهذا ما يؤكد أن الشر لا يوجد في الأشياء بل في الطريقة التي تستخدم بها إرادتنا تلك الأشياء، والإرادة خيرة لكن إذا أسيئ استعمالها تصبح شريرة، إذن الشر مرتبط بممارسة حرية

[1]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص695– 696.

الإرادة البشرية، إذ لولا هذه الإرادة لكان الإنسان خيرا وما أصبح كائنا مجبرا لا يملك قسطا من الاختيار والحرية [1]

وباعتبار أن الشر يتعلق بطبيعة الإنسان وبأفعاله كما سبق الذكر تنوعت مواقف الفلاسفة والأدباء في رؤيتهم لمشكلة الشر، فمثلا هناك أديان تفسر وجود الشر على أن هناك إله للشر مثل الهندوسية والمجوسية والمانوية، في المقابل نجد أديان أخرى تفسر وجود الشر بوجود الشياطين مثل اليهودية والمسيحية والإسلام. نأخذ أمثلة من الديانات المذكورة الفيدية تعبر هذه الديانة عن قوى الشر في العالم بمصطلح" مايا Maya " وهو مقتبس من الجذر May بمعنى "غير " وفي الريج فيدا تعني مايا التغيير المدمر، والتغيير الشيطاني المخادع الذي يؤدي إلى تغيير الكون والى الفساد ،والمايا في الفيدية تتعلق بالحيل والسحر وفي هذا الأخير يتمثل الشر في التحول لنموذج شيطاني مثل الأفعى الكونية أو التنين الجبار فيرترا viritra[2]

وقد أرجعت البوذية الشر إلى الشهوة " الشهوة التي تنمي فينا الرغبة في اللذة وإشباع الحواس ،وفي التملك وإثبات الذات ،وفي الخلود الشخصي وفي الاهتمام بأمور الدنيا [3] وهذا يدل على أن الشهوة التي تتعلق بالحواس هي شر أو أن اللذة التي تأتي من الشهوة هي شر لأن ما يترتب عنها هو حب التملك وإثبات الذات، وهذا الأخير ينفي قيم الخير والحب والتراحم فإذا عمل كل أحد بشهوته فلن تظل هناك علاقات اجتماعية أو علاقات مبدئها الأساسي الحب والخير.

أما الزراديشتية قالت بأن الشر هو امتزاج النور بالظلمة ،والخالق هو الذي خلقهما لحكمة رآها في التراكيب، وربما جعل النور حقيقيا والظلمة تتبعه كالظل، بالنسبة للشخص

[1]– بتصرف، مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1999، ص 73، 74.

[2]– بتصرف، محمد عثمان الخشت: مدخل فلسفة إلى الدين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2000، ص127،128 .

[3]– رمضان الصباغ: الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، ص 205 .

يبدو موجودا لكن في الحقيقة ليس له وجود [1]. إلا أن الشر ليس له وجود حقيقة لكن الناس يعتقدون أن له وجود ومتجسد في الحقيقة بل هو مجرد ظل للنور أو الخير، فالإله خلق النور وحده لكن بما أن من ضرورة وجود التضاد جاء الظلام تابعا للنور.

واذا كانت الزراديشتية قد رأت أن الشر هو نتيجة امتزاج النور بالظلام فالمانوية ترى أنه قبل الوجود، أي قبل وجود الماء والأرض وقبل وجود أي شيء بهما كانت هناك طبيعتان إحداهما هي الخير والثانية هي الشر وهاتان الطبيعتان منفصلتان، مبدأ الخير يكمن في النور ويسمي بأبي النبل أو العظمة ،ومبدأ الشر يسمى بملك الظلمة وعالم النور يحاذي عالم الظلمة دون أن يكون بينهما جدار [2].لذا المانوية أيضا ترى أن الشر لم يكن له وجود لولا الخير فهو مضاد له وهو بمثابة نقص فيه.

الإضافة إلى الأديان نجد أيضا الفلاسفة الذين اهتموا بالمشكلة الأخلاقية فالحديث عن الأخلاق يعني الحديث عن الخير والشر ففي حديث " سقراط " عن الفضيلة في مقولته " **الفضيلة علم والرذيلة جهل** " [3] كانت حجته أن أحدا لا يفعل الشر حبا في الشر، فالمرء عندما يبحث عن الخير ويلاحقه باستمرار قد يخطئ التقدير، ويقبل على الشر ضنا منه أنه خير وعندئذ يكون خطئه الخلقي ناجما عن نقص في المعرفة، فلو عرف الخير على حقيقته لما أتجه إلى فعل الشر وهنا تحدث عن الشر على أنه شقاء ويستحيل أن المرء يرتكب الشر وهو يعلم أنه شر فليس من المعقول أن يتخلى الإنسان عن السعادة ويذهب إلى الشقاء ويسعى إلى الشر مختارا.

[1]– المرجع نفسه، ص205 .

[2]– رمضان الصباغ: الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق، ص 206 .

[3]– محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، ص 61.

أفلوطين* كذلك كان له رأي في فكرة الشر وطابق بينه وبين المادة في قوله " **المادة هي الشر بالمعنى الأتم** "[1] مبينا أن لا وجود للشر وان الشر نقص أو سلب للخير ولذلك جعله أمرا نسبيا فالشر لا يكون شرا إلا بالنسبة لما هو خير منه في درجات الوجود فالمادة أعتبرها شرا بالنسبة إلى ما يوجد فوقها وأغلى منها، فالوجود عنده فوق كل شيء حاله حال جميع الفلاسفة لذا كان الواحد هو الخير الأكمل والمادة هي الشر

أما الشعراوي فيقول عن الشر " **الشر في عرف البشر هو ما يتصادم مع رغباتهم وشهواتهم وأهوائهم ،بصرف النظر عما إذا كان ما يتمنونه يتفق مع منهج الله أو لا يتفق** "[2] وها يعني أن الشر هو ما يتصادم مع ما تريده النفس فكل شيء نشتهيه ولا يتحقق أو لا يحدث نعتبره شرا دون النظر و العودة إلى شريعة الله فالشعراوي أراد أن يقول بهذا الأشياء الخيرة في العقيدة الإلهية أن كانت ضد ما يرغب فيه الإنسان فهي بالنسبة إليه شر.

*–أفلوطين(203–270ق م)فيلسوف يوناني، فلسفته تتضمن الصوفية وذلك يظهر في روحانيته .جورج طربيشي :المعجم الفلسفي، ص76 .

[1]– محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، ص 116، 117. [1]

[2]– الشعراوي: الخير و الشر، ص 59 .

المبحث الثاني : الخير والشر في الفلسفة المسيحية :

– كما سبق الذكر من بين الديانات التي كان لها رأي أو موقف في مشكلة الشر هي الدين المسيحي فالإيمان المسيحي، لا يحقق اتساقا في عقيدته دون افتراض وجود شيطان ماكر يحاول إظلال بني الإنسان منذ بداية التاريخ البشري، بالإضافة إلى أن مفهوم النعمة في المسيحية لا يكتمل بدون الشرور والآثام الموجودة في العالم ،يقول الأب كزافيه ليون دوفور اليسوعي "**إن الكتاب المقدس تارة تحت إسم الشيطان وتارة تحت إسم إبليس وهذا ما يشير إلى وجود كائن غير مرئي يظهر بعمله أو بتأثيره** "[1].و هذا دليل على أن المسيحية تعترف بوجود الشر وانه موجود منذ القدم، قد لا يظهر للعيان لكنه يظهر من خلال تأثيراته على الإنسان

لذلك جاءت المسيحية مع ظهور المسيح فأعادت للحياة توازنها وحاولت نقل الإنسان من التفكير في العالم المادي وإشباع الدوافع والشهوات والرغبات إلى العيش طبقا للمعاني الروحية السماوية، فأصبح الخير الأخلاقي متمثل في خضوع الإنسان إلى إرادة الخالق، فمن المبادئ الموجودة في المسيحية الحب الإلهي والأخوة والتضحية، فحب الإنسان لله وللآخرين هو أساس قانون والشريعة الإلهية وأساس الحياة الخيرة والكريمة، فالخير في المسيحية يتجسد على سبيل المثال في الفضائل وهذه الأخيرة تتحقق بالتخلي عن الشرور المتمثلة في المادة وملذاتها والتحلي بالصبر على الآلام والمظالم، لذلك حسب العقيدة المسيحية الفضائل والقيم إذا ابتعدت عن الطريق الإلهي تصبح رذائل، وهذا ما يؤكد أن الفلسفة المسيحية تتناول الإنسان من حيث علاقته بالله والخير والشر والسعادة في العالم الأخر [2]

وحسب الفلسفة المسيحية لإعطاء الفعل الأخلاقي صفة الخير والشر وجب تحديد الفعل السيء أو ما يسميه المسيحيون الخطيئة، فالخطيئة قبل كل شيء فعل رذيل أو شرير

[1]–أبو بكر إبراهيم التلوع: الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، د.ط، 1995، ص 107، 109.
[2]–بتصرف: المرجع نفسه، ص109.

والرذيلة تعارض الفضيلة ،وعلى هذا فأننا نجد ثلاثة أشياء تتعارض مع الفضيلة وهي الرذيلة والخبث والخطيئة وهذه الأخيرة في تعريفها هي فعل مضطرب أو متمرد ،أعني أنه فعل ضد النظام الذي تتطلبه طبيعة الفعل الإنساني العاقلة " [1]. وهذا يعني أنه ضد الخير وهذا يقودنا إلى أن الخطيئة تأتي معارضة لطبيعة الفعل وبالتالي الشر معارض لهذه الطبيعة.

وهذا نجده في قول توماس الإكويني* " **أن ما يجعل الإنسان خيرا أو ما يجعل سلوكه وما يصنعه خيرا هو أن يعمل لطبيعة أحسن وفقا لعقله** "[2] وهذا يعني على حد قوله أن الخير يكمن في إتباع العقل والعمل بأوامره والشر يكمن في الابتعاد عن العقل فالعقل اعدل الأشياء والإنسان ميزته عن المخلوقات الأخرى هي العقل.

لكن أعيب على قول توماس أنه لم يذكر الله قط على خلاف اللاهوتيين المسيحيين الآخرين اللذين كانوا أكثر مباشرة وأكثر أشارة إلى ارتباط الفضيلة والرذيلة بإرادة الإنسان وإرادة الخالق فمثلا أوغسطين* يقول " **الخطيئة هي الكلام أو الفعل أو الرغبة ضد القانون الأبدي** "[3] وهذا يعني أن الخطيئة تعارض القانون الذي يحكم العالم أو الطبيعة ويسيطر عليها ومن خلالها يخرج الإنسان عن مساره الطبيعي ليقترف الشرور سواء عن جهل منه أو عن معرفة.

---

[1]– ايتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، تر: الإمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولى، ط3،1996، ص 379.

*–توماس الإكويني:(1225–1274) راهب دومينيكاني سمي بالإكويني نسبة إلى إقامته بإكوين تأثر بأفكار اليوناني أرسطو عرف بعلمه الخلاصة اللاهوتية أطلق عليه اسم الفيلسوف الأعظم، فؤاد كامل، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص61.

[2]– المرجع نفسه، ص 380.

*–أوغسطين: 354–430م أشهر آباء الكنيسة اللاهوتية، جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص117.

[3]– المرجع نفسه، ص 380.

ومن هنا نستطيع أن نقول أن الخطيئة هي اضطراب في علاقة الإنسان بخالقه ناتجة عن إرادة حرة ،ومن هنا يبتعد الإنسان عن الله ويحكم على ذاته بالشقاء، فالإنسان حر وهو قادر على ارتكاب الإثم والخطيئة فهو يخطئ بواسطة قدرته على الخطأ [1].لذلك اقتراف الشرور حسب الديانة المسيحية يكون بيد الإنسان ،فالله منحه الحرية لكنه تركه يمارسها دون قسر وإجبار

وقد جاء أيضا في رسالة يوحنا الرسولي الأولى " **من يفعل الخطيئة فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ ولهذا ظهر ابن الله لكي ينقص أعمال إبليس** "[2]وهذا يؤكد أن الشيطان يتخذ من النفس الإنسانية والمجتمع الإنساني مجالا رئيسيا لنشاطه، فالشيطان ليس كائنا شريرا فحسب وإنا هو صاحب مملكة الشر في هذا العالم، ففي بعض الأحيان يكون اقتراف الشر ناتج عن قوة شيطانية تأثر في الفرد.

وتعددت الرسائل والوصايا للابتعاد عن الشر من طرف الرجال المسيحيين، مثلا بولس يدعو إلى تجنب الشر ومحاربته لأنه عدوه ولأنه سبب وقوع أدم في الخطيئة حيث يقول " **البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكان إبليس فإن مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع أحقاد الشر الروحية في السموات** "[3].وبهذا نجد أنها أرجعت الشر الإنسان وبهذا أصبح الإنسان عبدا لها وأصبح كل فعل سيء يعود إليها.

وباعتبار أن مشكلة الخير والشر كانت موضوع نقاش لدى الفلاسفة في مختلف العصور لم يشذ أوغسطين عن هذا التقليد كما ذكرنا سابقا، وهو من بين أهم الفلاسفة المسيحيين اللذين كان لهم رأي حول مشكلة الخير والشر، ففي اعترافاته عندما تحدث عن السعادة الحقه وهي في نظره السعادة الكامنة في الله قال بما معناه " **بوجوب حب الله والتمسك به لكي**

---

[1]– المرجع نفسه، ص 380.

[2]–فاطمة الزهراء موالك :رمزية الشر في الخطاب التأويلي الديني بول ريكور،رسالة ماجستير، قسم الفلسفة، جامعة وهران،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 2014،ص28

[3]– المرجع نفسه، ص 28 .

تطمئن قلوب الناس يبحثون عن الخير والخير كامن فيه " فلا طعم للخير ولا لذة فيه إلا بمقدار ما هو كامن في الله، وهذا يعني التمسك بالخلق فهو من صنع كل شيء ،فإذا كان الخير في الأجساد فالأجساد لله، وإذا كان الخير في الأنفس،فالأنفس كذلك لله، لذا دعا أوغسطينوس المخطئون إلى العودة إلى خالقهم فهو الذي يخلصهم من الخطيئة لكي لا تظل قلوبهم مليئة ومثقلة بالمعاصي بالشرور[1] .

ويشير أوغسطين في كتابه مدينة الله أن الحياة الأبدية الخالدة خير وأسمى في حين أن الموت الأبدي شر خالص، فالحياة الأولى لا تتحقق إلا بإتباع الخالق والإيمان به والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، ويشرح ذلك بقوله أن الإنسان عاجز عن تحقيق هدفه في الحياة والعجز لا يكمن في طبيعته البشرية وتكوينها بل في سلوكه واستعماله لهذه العناصر الطبيعية، لذلك عليه طلب العون ليحقق هدفه وعلى حد رأي أوغسطين هذا العون هو الخالق. [2]

وأوغسطين عندما تناول فكرة الخير والشر نفى الرأي القائل بوجود الخير والشر في هذه الحياة ،وأنه قد يتعلقان بالروح والبدن أو باللذة والألم أو بالفضيلة والرذيلة. فهذا الرأي حسبه سطحي في محاولته للبحث عن السعادة في الحياة، وهو يرى أن الشر هو قيمة لتمييز الخير، فالشر المطلق أو الخالص ليس له وجود عند أوغسطين والخير الذي لا يوجد معه شر هو الخير الأسمى وهذا الخير مصدره

الخالق، وإن بدت بعض الأشياء على أنها شر فالإيمان الراسخ في النفس والقلب يحولها إلى خير ومنفعة، يطرح أوغسطين مثالا على هذا فيقول مثلا " **السم مادة قاتلة للأحياء**

[1]– بتصرف: أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، تر: الخوري يوحنا الحلو،، دار المشرق، بيروت، ط4،1991، ص199.

[2]– بتصرف: أبو بكر إبراهيم التلوع: الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، ص 110.

وبالتالي هو شر ،ألا أنه استعمل لحكمة فهو خير وهو دواء شافي لبعض الأمراض " لذلك الإدراك الحقيقي للموجودات وأغراضها يؤدي إلى تحقيق الخير والابتعاد عن الشر [1]

ومن ناحية أخرى بما أن الإنسان مسؤول عن ارتكاب الشر فإن مفهوم الشر يصعب تفسيره من حيث مساهمته في تحقيق الخير، فالإنسان يختلف عن بقية الكائنات لأنه يتميز بالإرادة الحرة في تمكنه من الخير والشر، حيث يقول بأن الإنسان بالرغم من تمكنه من ارتكاب الخطيئة (أدم) في بداية حياته ،إلا أن هذا الميل إلى الشر لم يكن فيه منذ الطبيعة، فهو يتكون من عناصر معقدة مادية (الشهوات والرغبات والغرائز) ونفسية روحية (الإرادة والتمييز والعقل)) لذلك التمييز بين هذه العناصر أمر صعب، إلا أنه كما يبدو عند أوغسطين بعدم وجود الاختلاف بين العناصر فهو يعود إلى تجريدها إلى مبدأ النظام منذ البداية حينما ارتكب أدم الخطيئة، وقرر إشباع دوافع معينة على حساب عناصر أخرى[2]

كما تبين أن مشكلة الشر أخذت حيزا كبيرا في وعي القديس أوغسطين لذا من ناحية مشكلة الشر، إذ كان الله كاملا ومسؤولا عن كل ما خلق فكيف يخلق الشر؟

حسب أوغسطين كل طبيعة هي خيرة والطبيعة السيئة هي التي تكون في كمالاتها فاسدة (اعتدال صورة النظام) فإذا كانت الكمالات التي منحها الله لكل جوهر مادي أو روحي كاملة فإن الكائن يكون خيرا وحسنا، والشر حسبه هو نقص إحدى هذه الكمالات، ففساد إحدى هذه الكمالات أو حدوث أي خلل فيها أو في ترتيبها هو نقص في الخير الموجود في الكائن ،فالشر عند القديس أوغسطين لا يفهم بمعزل عن الخير، فلكي لا يكون الشر يجب أن لا يكون الخير موجودا، وهو يؤكد على أن الله لا يخلق الشر، لان الله كامل إلا ان الشر لابد منه ولا يمكن تجنبه[3]

---

[1]– بتصرف: أبو بكر إبراهيم التلوع: الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي،ص112.

[2]– بتصرف: أبو بكر إبراهيم التلوع: الأسس النظرية للسلوك الأخلاق،ص112.

[3]– علي زيعور، أوغسطين مع مقدمات في العقيدة المسيحية، الفلسفة الوسطية،، دار إقرأ، بيروت، لبنان،، ط1،دت، ص 173، 174.

وفي حديثه عن الشر تحدث عن الشر الطبيعي والشر الأخلاقي مبينا أن الأشياء من حيث أنها موجودة أي بطبيعتها خيرة ،والعالم مسرح للفساد والشر هو الفساد والزوال، وهذا الزوال لبعض الأشياء هو وجود لغيرها فالأضعف ينحني أو يفنى أمام الأقوى، وهكذا يستمر الوجود، فالشر هنا أو ما غلب عنه بالفساد يكون سببا في ترتيب الكون وعلة لجماله ودوامه حتى الخطيئة اعتبرت مفيدة، تفيد الغير ليتعظ بها أو ينتبه للعقاب المترتب عنها فهي بالمعنى الأصلي هداية أما الشر الأخلاقي فربطه بالخالق، فكيف للخالق الكامل أن يخلق إنسان إرادته تفعل الشر ؟ فهي شرحه لذلك يؤكد أن الأشياء في حد ذاتها هي حسنة وخيرة وهذا الخير أعطاها إياه الخالق، فالإرادة تأتي من الله وهي ليست خيرا مطلقا فإذا أسيئ استعمالها تزول فهي ذات طبيعة خيرة ألا أن مفهومها يتوقف على طريقة الإنسان في استعمالها فإذا أحسن استعمالها فهي خير ،وإذا أخطئ في استعمالها فهي تكون بذلك شرا [1]

[1]–بتصرف :المرجع نفسه،ص175–176.

المبحث الثالث : طبيعة الخير الإنساني عند توما الإكويني :

عند الحديث عن الفعل الإنساني عند توما الإكويني يجب التطرق إلى الإنسان بصفة عامة لديه. لذلك اعتبر توما الإكويني أن الإنسان يحتل المرتبة الثانية من مراتب الخليقة وهو مركب من جوهر روحي وآخر جسمي ،والجوهر الروحي يسمى نفسا ويقال أنه مبدأ الحياة بالمجمل في الأحياء الطبيعية النبات والحيوان والإنسان، وبما أنها جوهر في الإنسان فهو يدرك الأجسام إدراكا مجردا وهذا الإدراك المجرد يستحيل أن يدرك بآلة جسمية، فلو لم يكن الإنسان ذو ثنائية (نفس وجسد) لكان من الطبيعي عليه إدراك الأجسام إدراكا مجردا "لذا النفس الإنسانية تدرك الماهيات بطريقة خاصة في العقل، لها فعل تستقل به عن الجسم وهذا يدل على أن العقل روحي والنفس روحية ،إذ ليس يفعل بذاته إلا ما يقوم بذاته، على خلاف النفس الحاسة والنفس النامية فإن جميع أفعالها تحدث في الجسم و بالجسم "وهذا يوضح لنا أن النفس لها قوة متمايزة، حيث تتمايز بالأفعال، فعمل البصر ليس كعمل السمع، والعقل ليس كالإدراك ،فهناك أفعال يكون محلها النفس كما سبق وذكرنا وهناك أفعال يكون محلها الجسد، فالأفعال تنقسم إلى الثنائية المركبة من النفس والجسد، وتأخذ بعض الأشياء الموجودة في النفس الإنسانية والتي ترتبط بموضوع الفعل لدى الإنسان والتي تعتبر سوى حاصلة تصدر منها معظم الأفعال فهي بمثابة المحرك الذي تخرج منه الأفعال وهي موجودة في النفس الروحية، وهذه النفس الروحية موجودة في كل الكائنات فهي تكون صورة أساسية جوهرية والقوى النفسية الروحية هي التي تعطى الإنسان القدرة على الحياة والتفكير وهي التي تعطي الكائن الحي وجودا وشكلا فتعبر المبدأ الأول لغذائنا [1].

وإحساسنا وحركتنا وأفعالنا هذا وإن دل على شيء فيدل أن الإنسان أفعاله معظمها إن لم نقل كلها تصدر عن النفس، فلا شيء في العقل على حد تعبير توما الإكويني لم يكن له وجود في الحواس، والشيء الذي نود ذكره هو الإرادة، فكما يوجد عقل توجد إرادة في

[1]– بتصرف: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط،2012، ص 156 .

الإنسان وهي التي تحرك المدرك نحو الفعل، فالإنسان باعتباره يتجه إلى الخيرات ويتعلق بالماديات ،فهذا التعلق لرؤيته بأنه خير ويحقق لذة، وهذا عبارة عن إحساس مغاير للنزوع الحسي والجسدي يسمى إرادة. وكما نعرف أن الإرادة تقتضي الحرية فكل إنسان حر لكونه عاقل وكون أفعاله تصدر عن قوى عاقلة تميز بين الخير والشر أو بين الخطأ والصواب، وبالرغم من أن توما الإكويني يرى بأن الله هو المحرك للإرادة وليس الإنسان ألا أن الله حسب شرحه يحرك الإرادة بطريقة لا يجب اعتبارها قسرا أو جبرا، لأنها أذا كانت كذلك فإن فعل الشر يعني أجبار الشخص على أن يفعل شيء خارج عن ميوله أو رغبته، لذا يرى أن الله يؤتيها ميلها الخاص فتتحرك من تلقاء نفسها، لذا خلق الثواب والعقاب، فلو كان الله هو المحرك للإرادة بشكل خيري لكان الإنسان وكل أفعاله خيرة ولا تحتاج إلى إصدار حكم عنها أو تقييمها في الميزان الإلهي ألا وهو الثواب والعقاب وتوما الإكويني درس الإنسان على أنه مريد ومختار وأن الأفعال الصادرة عنه صادرة عن إرادة تسمى الإرادة الإنسانية، فهدف الفعل الإنساني هو تحقيق غاية مدركة وهذا يثير التساؤل إن كان الفعل الإنساني عند توما الإكويني له غاية ؟ أم هو فعل غير شعوري عبثي لا يهدف لتحقيق شيء يذكر ؟ [1]

والإجابة عن السؤال يجب معرفة ما إذا كان للحياة البشرية غاية وهل يجوز أن يفعل الإنسان من أجل غاية يريد أن يحققها. هنا توما الإكويني في كتابه الخلاصة اللاهوتية يقول " **ليس يليق بالإنسان أن يفعل لغاية** " **وشرحها وفق أن العلة متقدمة على معلولها والغاية متضمنة حقيقة الآخر وليست متضمنة حقيقة العلة. بما معناه أن هنا غايات قصوى لا تحتاج أفعال لتحقيقها أن هناك أفعال ليس لها غايات هي في حد ذاتها غاية وهذا يعني أن ليست جميع أفعال الإنسان من أجل غاية، فالفعل يكون له غاية إذا كان له قصد ورأيه لكن الإنسان معظم أفعاله تكون عن غير قصد.** لكن عندما تحدث عن الأفعال التي يفعلها الإنسان من حيث هو إنسان والتي تسمى بالأفعال الإنسانية الحقيقية إذ أن الإنسان هو رب أفعاله ،وبهذا فإنه يغير رأيه ويقول " **يليق للإنسان أن يفعل لغاية** " فمدام

[1]– بتصرف :المرجع نفسه، ص159.

هو رب أفعاله وأفعاله صادرة عن العقل والإرادة أي أنه مختار في فعلها، فأن الأفعال صادرة عن قوة كما يقول توما الإكويني. وبهذا نستنتج أن الأفعال في هذا القول تصدر من موضوعات معينة وكما نعرف أن موضوع الإرادة هو الخير وبالتالي يصبح الخير هو غاية الإرادة، فإن جميع الأفعال يجب أن تكون لها غاية للحكم على الفعل الإنساني بأنه فعل صادر عن إنسان يجب أن تكون إرادته هي التي تدفعه للفعل، فمثلا اللون يكون موضوعا للعين كذلك الغاية تكون موضوعا الإرادة[1]

بما أن الإنسان يفعل من أجل غاية فهذا يدل على أن باقي الأشياء لا تفعل من أجل غاية، فالغاية هي موضوع الإرادة، والإنسان هو الوحيد الذي يملك ميزة الإرادة، فالإنسان عندما يفعل لغاية ما فهو يدرك هذه الغاية ،وكثير من الأشياء لا تدرك غاية أفعالها كالجمادات. لذا طبيعة الفعل الإنساني تختلف بين الموجودات فكما ذكرنا أن الإنسان له غاية. بالتالي الفعل لغاية خاصة بالطبيعة الناطقة ويظهر هذا في قوله " **ليس يفعل لغاية إلا الطبيعة الناطقة** "

فالطبيعة الناطقة تتوجه إلى الغاية بفعل نفسها أو هي التي تسوق نفسها إليها، أما بشأن الطبيعة الغير ناطقة التي اعتبر أن فعلها لا يتم من أجل غاية لأنها لا تدركها أصلا فهي تتوجه إلي الغاية بفعل غيرها كالجمادات وهذا ما يدل على الطبيعة الغير ناطقة وعلى أساسها حدد غايات الأفعال.

وبإثبات أن الفعل الإنساني يكون من أجل غاية تحدث توما الإكويني عن الغاية القصوى، حسب ما يظهر ليس للحياة الإنسانية غاية قصوى فالغايات متسلسلة إلى ملا نهاية، فمثلا الخير هو غاية الإرادة لكن كلما بلغنا إلى الخير صدر عن الخير خير أخر وهكذا دواليك فلا ينتهي الخير، لذلك الغايات متسلسلة فعند تحقيق غاية معينة فعند تحقيق

[1] – بتصرف: توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، مج3، تر: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت، د.ط، 1891،ص168.

يتوق الإنسان إلى غاية أكبر منها فيسعى إلى تحقيقها مرة أخرى ،إذا الإرادة الإنسانية تذهب إلى غايات لانهاية لها، لكن الفيلسوف توما يثبت العكس بقوله أن الخير يتضمن حقيقة الغاية والتسلسل مناف لحقيقة الغاية فلابد من إيجاد غاية قصوى واحدة [1]

ويجيب في هذا الموضوع يقول أن حقيقة الخير أن يصدر عنه شيء لا أن يصدر هو عن أخر، فإذا بما أن الخير يتضمن حقيقة الغاية والخير الأول هو الغاية القصوى لا يلزم عن ذالك عدم وجود غاية قصوى بل جواز التسلسل فيما دون الغاية الأولى فكلما كان فيض الخير الأول لا يحصل إلا بحكم العقل الذي من شأنه أن لا يصدر معلولاته إلا لسبب معين، كان صدور الخيرات عن الخير الأول الذي منه تستمد سائر الخيرات القوة التي تفيض منه لا يحصل إلا على وجه معين ولذا لم يكن فيض الخيرات يتسلسل إلى غير النهاية بل أن الله رتب كل شيء بعدد ووزن ومقدار[2] وهذه الإجابة تجعلنا نستنتج أن الخير الأول يصدر عن الغاية هو الخير الأقصى لهذا نفى تسلسل الغايات أما ما يصدر عن الخير الأول فهو نتيجة حتمية رتبها الله بشكل مقدر وموزون فمثلا إذا حقق الإنسان غاية وهي عبارة عن عمل شيء ما فذلك العمل هو غاية الإرادة، أما ما يترتب عن العمل فهو مجرد تسلسل بديهي لأشياء لابد من أن تفيض أجزاءها.

لتفسير الفعل الإنساني، يجب التساؤل : هل دائما يكون من أجل غاية قصوى ؟ إن الإنسان في جميع أفعاله هناك أفعال حقيقية أي لا نقاش فيها وهناك أفعال عشوائية يفعلها الإنسان لكي يروح عن نفسه، أو لكي يخرج من حيز المنطق أو الحياة المنطقية التي تجعله يعيش على أنه إنسان مفيد أو مكلف بأن يكون آلة مسخرة لشيء معين دون سواه.

لذلك كان رأي توما الإكويني في هذا الصدد أن الأفعال الهزلية لا يقصد بها غاية خارجية، بل خير الهازل فقط هو عبارة عن لذة مروحة للنفس ،وخير الإنسان الكامل هو

[1]– بتصرف :توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية،المجلد3، ص169.

[2]– بتصرف : توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية،المجلد3، ص 173، 174.

غايته القصوى، فحسب رأيه ليس من الضروري أن يفكر الإنسان في الغاية القصوى كلما اشتهى أو فكر في فعل شيء ما، فقوة القصد الأول الذي هو الغاية القصوى تستمر في شهوة كل شيء حتى وإن كان يفعل شيئا خارجا عن غايته القصوى ولم يفكر فيها إلا أنها مغروزة فيه فكر فيها بطريقة غير شعورية، فهو يضرب مثلا على أن الذي يسير في الطريق ليس بالضرورة أن يفكر في كل خطوة عن المكان الذي يريد الوصول إليه[1].

ومن خلال هذا نستنتج أن الإنسان وعلى اختلاف نظرة المفكرين إليه إلا أن فعله لابد أن يكون لدعاية أو هدف، فالإنسان لم يخلق من عبث ولم يخلق لأجله، رغم اختلاف الناس واختلاف إراداتهم وأفعالهم تبقى الغاية واحدة وهي الغاية القصوى أو الخير الأقصى فمن كانت إرادته خيرة تكون سبيله لبلوغ غايته سهلة وبسيطة أما إذا كان العكس فإن بلوغ غايته طريق مليء بالمصاعب، لذا حسب الإرادة يكون الفعل وحسب الفعل يكون الخير ويكون الشر.

[1]– بتصرف :توما الاكويني: الخلاصة اللاهوتية،المجلد3، ص 178.

إن معرفة الخير والشر والقدرة على التمييز بينهما من الأولويات الضرورية لضبط السلوك، فالحياة الأخلاقية لها قواعد وضوابط يجب معرفتها والالتزام بها، كذلك معرفة الخير والشر تجعل الفرد يضع ميزانا يصنف فيه أفعاله، من خلال هذا حاول الفلاسفة تحديد القاعدتين الرئيسيتين للأفعال (الخير والشر) فمعرفتهما هي سر الاعتدال السلوكي للأفراد، فالكل يسعى ليعرف كيف يختار الخير ويتجنب الشر .

الفصل الثاني

تجليات الخير والشر في الفعل الإنساني

- الفعل الإنساني وميزان الخير والشر
- الخير والشر وعلاقتهما بالإرادة
- تصنيف الانفعالات

تمهيد:

إن الجانب الأخلاقي للإنسان يظهر في أفعاله وسلوكاته ،فكما استطاع التمييز بين الخير والشر عند معرفة ماهيتهما ،كذلك من خلال أفعاله يظهر أنه إما يتبع الخير أو يتبع الشر ،لذلك يمكن أن نعتبر الأفعال الإنسانية هي الجانب التطبيقي لكل من الخير والشر ،فالإنسان الخير يعرف من خلال أفعاله الخيرة والإنسان الشرير يعرف من خلال أفعاله الشريرة ،ومن هنا وجب تصنيف أفعال الإنسان حسب الميزان الأخلاقي للخير والشر لمعرفة ما إذا كان الإنسان يفعل الخير والشر متعمدا وعن دراية اوان طبيعته البشرية خلقت تستلزم ذلك ،لذلك هناك تساؤلات تستلزم الإجابة :

كيف يتجلى الخير والشر في الفعل الإنساني ؟

المبحث الأول: الفعل الإنساني وميزان الخير والشر

إن الجانب الأخلاقي للإنسان لا يمكن أن نعرفه إلا إذا درسنا الفعل الإنساني، فمجرد معرفة طبيعة الفعل الصادر من الإنسان يمكن تصنيفه أخلاقيا.

في حديث توما الإكويني عن الأخلاق قال "**بأنها المعرفة التي تقود إلى السعادة القصوى حيث وافق أرسطو في أن الخيرات الخارجية والجسمية كالصحة واللذة والمال والشهوة والنفوذ...الخ، مطلوبة وهامة فنعمة المعرفة والفهم ومتعة التأمل في الحق والخير والجمال هي السعادة الجديرة بالإنسان العاقل**[1]. لذلك ربط توما الإكويني سعادة الإنسان باللذة العقلية ونعمة المعرفة، فكلما كان التأمل في الجمال والخير كلما حقق الإنسان السعادة لنفسه، ومن هنا يتضح بأن الإنسان كائن أخلاقي وهو مسؤول عن أفعاله، فمن خلال هذه الأخيرة يمكن الحكم عليها أخلاقيا إما بالخير أو الشر.

لهذا توما الإكويني يقسم الأفعال الصادرة عن الإنسان إلى نوعين: أفعال تصدر عنه بعد رؤية وتأمل ونظر باعتباره كائن عاقل، وأخرى تصدر عنه بدون رؤية وتأمل كونه كائن نامي حساس كتحريك اليد ومضغ الطعام[2]، وبحسب هذا التقسيم يظهر الفعل الخلقي للإنسان الذي يصنف ضمن خانة الأفعال الصادرة عن الرؤية والتأمل أي الأفعال الصادرة عنه باعتباره كائن عاقل.

والإنسان باعتباره كائن أخلاقي يسعى إلى تحقيق غاية من أفعاله، فإذا قلنا أن الفعل البيولوجي هو إشباع حاجيات أولية، فالفعل الخلقي هو تحقيق السعادة الإنسانية[3].

---

[1]– الشيخ كامل محمد محمد عويضة: توماس الاكويني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، ص121.

[2]– المرجع نفسه، ص121.

[3]– بتصرف: المرجع نفسه، ص121.

ومن خلال هذا يتبين أن الفكر الإنساني يعتمد على الإرادة الإنسانية فيقول توما الإكويني" **إن من يمتلك الفكر يمتلك الإرادة ومن يمتلك إرادة فلديه حب**"، وهنا تظهر أسبقية الفكر على الإرادة، بهذا يظهر الإنسان كحيوان عاقل، وتوما الإكويني يتحدث أولا عن الروح ويقول بأنها تعني أشياء أكثر من العقل والفكر، فوفقا لمعاصريه الروح هي الحياة الجوهرية أو المبدأ الحي. بالإضافة إلى الاتفاق على وجود روح في النباتات والحيوانات فهي تكسب الأشياء ماهيتها الجوهرية، لذلك الروح الإنسانية تختلف عن النباتية والحيوانية فهي روح عاقلة، فالعقلانية[1] تعطيها درجة من الرقي، حيث أن من مميزاتها الإدراك العقلاني[2].

لهذا فإن الإكويني يرى أن القانون الخلقي هو مجموع القواعد الخلقية التي يقول بها العقل بعيدا عن الوحي، أي أن القانون الخلقي خاصية من خواص العقل الإنساني، فهو قائم على معنى الأول من معاني العقل العملي، وصيغته إتباع الخير واجتناب الشر[3]، بمعنى أن مبدأها هو أن العقل هو من يدرك الأفعال بخيراتها وشرورها، فمن جراء الجهل والخطأ والهوى وعدم استخدام الجانب العقلي، يحجب عن الناس وجه الحق والخير، ويكشف لهم الباطل والرذائل*، فالعقل هو من يضع القواعد والقوانين لضبط الأفعال.

لذا تتناول الأخلاق الأفعال الصادرة عن الإنسان من حيث هو إنسان أي الصادرة عن الإرادة العامدة، فهي تسمى بالأفعال الإنسانية، فحقيقة الفعل الإنساني هو أنه متجه إلى غاية مدركة أو مرادة، وهكذا تكون الغاية هي مبدأ الأفعال الإنسانية[4]، فلا بد للإنسان من

---

[1]– العقلانية: هي القول بأولية العقل.جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص90.

[2]–بتصرف: ماهر عبد القادر محمد: فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2000م، ص,447–448.

[3]– كامل محمد محمد عويضة: توماس الإكويني، ص123.

*-الرذيلة: ضد الفضيلة وهي عادة فعل الشر، وإذا كانت الفضيلة هي الاعتدال عند أرسطو فالرذيلة فهي تجاوز حد الاعتدال أي إتباع الهوى. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص614.

[4]– يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص160.

غاية قصوى يترجم بها أفعاله كنتيجة، لذا لا يمكن أن نتصور وجود أفعال دون غايات، ولو وجدت لكان الإنسان يحيا من أجل العدم.

وما دامت الإرادة تابعة للعقل فهي تميل إلى الخير الذي يعرضه عليها، فإذا كان الفعل موافق لحكم العقل كان خير، وإذا كان منافي كان شرا، لذلك الغاية الخلقية هي التي تعطي الأفعال الإنسانية حقيقتها النوعية، فقد يقصد بفعل خير في نوعه أو في ظروفه غاية شريرة مثل تصدق الإنسان لأجل المجد الباطل، وقد يقصد بفعل شرير غاية خيرة مثل لو سرق الإنسان ليتصدق. لذلك فالفعل الخير لا يكون مطلقا إذا اجتمعت له أوجه الخير ولو نقص فهو شر[1].

وفي بعض الأحيان قد تكون بعض الأفعال لا خيرا ولا شرا بحسب حقيقتها النوعية، ولكنها خير أو شر بحسب حقيقتها الشخصية، لذلك من جهة قصد الغاية يجب أن يكون متوجها إلى غاية لائقة أو غير لائقة[2]، لذلك تصنيف الأفعال يكون حسب غايتها اللائقة فإذا أردنا أن نصنف فعل ما على أنه خير أو شر ننظر إلى أنه لائق أو غير لائق.

وبما أن الأفعال صادرة عن الإنسان كونه كائن عاقل، هنا توما الإكويني يرى بأن الخير الإنساني يقاس بعدة اعتبارات:

الأول: موافقة الفعل لحكم العقل.

الثاني: مراعاة الظروف التي في خلالها الفعل فقد يكون الفعل موافقا لحكم العقل لكن الزمان والمكان غير ملائمين.

[1]– يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ،ص161–162.

[2]– يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ص162.

الثالث: صلة هذا الفعل بالخير الأقصى ومن هنا فإن خصوبة الفعل أمر هام للغاية ويرتبط هذا التميز بين الفعل الباطن وبين الفعل الظاهر، أو بتعبير آخر يجب أن ننتبه إلى الفرق بين الفضيلة وبين صورتها الزائفة(**كالصدق والوفاء وغيرها)** [1].فالاعتبار الأول يعني أن يكون الفعل موافقا للعقل أو مخالفا له، كاستعمال الإنسان ماله أو أخذه ما لغيره، أما الثاني مرتبط بالظروف من حيث هي أعراض للفعل مثل الكمية الملائمة أو المكان اللائق، فإن خلا الفعل عن شيء يقتضيه منها كان شريرا، والثالث الغاية التي يتوقف عليها، أي نسبته إلى علة الخير.

لذلك كل هذا يقره العقل الطبيعي، فهو الذي يحدد ما يليق بالإنسان وما يجب أن يكون عليه ، لهذا يسمي مجموع القواعد الخلقية بالقانون الطبيعي، فلكل موجود قانون منطبع في ماهيته، فالموجود غير العاقل يتبع قانونه حتما، أما الموجود العاقل يدرك قانونه ويملك أن يتبعه أو يخالفه لذا القانون الخلقي خاص بالعاقل، والمبدأ الأول كما قال مبني على العقل العملي، وهو معنى الخير، وصيغته" **يجب إتباع الخير واجتناب الشر**"، فكل موجود يعمل لغاية الخير، فالخير مطلوب والشر مهروب منه بالضرورة.

فكل المسألة ترجع إلى تمييز الخير من الشر، وهذا ينطوي تحت المبدأ الأول كما سبق الذكر والذي موضوعه الخيرات التي يدركها العقل على أنها خيرات إنسانية مثل قولنا: يجب أن لا تضر أحدا. لذلك هذه المبادئ الإنسانية تنقسم إلى أولية ثابتة لا تتغير يشترك فيها الناس جميعا، أما الثانوية فقد تتغير بتغير الظروف والزمان والمكان أو من جراء الجهل أو الخطأ[2].

[1]– كامل محمد محمد عويضة: توماس الإكويني ، ص125.

[2]–بتصرف : يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ، ص162.

لذا يمكن اعتبار العقل الإنساني عبارة عن قاعدة قريبة للقانون الطبيعي، أما القاعدة البعيدة فهي الأولى وهي القانون الأزلي، أي العقل الإلهي الذي يرى في الذات الإلهية جميع الطبائع ونظام علاقاتها، فنور العقل هو إشراق القانون الأزلي في الخليقة الناطقة فطاعة هذه القوانين الأزلية هي إكرام لواضعها، فهي تستحق للمطيع ثوابا وهذا الاستحقاق هو الغاية القصوى وهو الذي يؤدي إليها [1]، بمعنى أن العقل الإنساني يستلهم قواعده من القاعدة الأزلية الإلهية ومن خلالها يرسم غايته القصوى انطلاقا من هذا المبدأ.

وبعد الحديث عن دور العقل في الفعل الإنساني، انتقل توما الإكويني إلى الحديث عن الأفعال وعلاقاتها بالحسن والقبح أو بمعنى آخر بالخير والشر، فحسب ما ورد في كتابه الخلاصة اللاهوتية هناك من يرى الحسن والخير فقط ولا وجود للقبح والشر، وإن وجد فهو جزء من الخير، أي خير ناقص، لذلك يقول توما الإكويني في موضوع الخير والشر أو الحسن والقبح بالنسبة لجميع الأفعال الإنسانية يقول: **قال الله:" كل من يفعل فعلا قبيحا يبغض النور**"[2]، وهذا يدحض القول بعدم وجود الشر.

لذا توما الإكويني يجيب ويقول" **الكلام عن الحسن والقبح في الأفعال تابع للكلام عن الخير والشر في الأشياء لأن كل شيء يفعل على حسب حاله، وحصة كل شيء من الخير على قدر حصته في الوجود**"[3]، وهنا يعني بأن كمال الأشياء في الوجود يحصل بأشياء وأوجه مختلفة، فهناك أشياء تحصل على الوجود لكن من جهة أخرى غير حاصلة على كمالات الوجود، لذلك هو بضرب مثل الرجل الأعمى، فهو يوصف بالخير كونه حيا يرزق، ولكن أيضا يوصف بالقبح أو الشر كونه فاقدا للبصر، لذلك ربط الخير و الشر بالوجود،

[1]– يوسف كرم: :تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ،ص162–163.

[2]– توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 3 ، ص363.

[3]– توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، مجلد3 ، ص364.

فكلما حصل الإنسان على مقتضيات الكمال في الوجود حقق الخير وكلما خلا من هذه الكمالات مال إلى القبح و الشر.

بالإضافة إلى أن الأفعال الإنسانية، في وصفها بالقبح والحسن ترتبط بالظروف، فحسب الكيفية والزمان والمكان يمكن تصنيف الفعل الإنساني لذا يقول الإكويني".... **وكذا الشأن في الفعل فإن كمال حسنه لا يقوم كله في حقيقته النوعية بل بعضه يحصل من بعض العوارض الزائدة وهي الظروف المقتضاة للفعل فإن خلا الفعل عن شيء يقتضيه منها كان قبيحا أو شرا**"[1]، وهذا يدل على أن الأفعال إذا خلت من العوارض الزائدة التي توفرها الظروف، والتي لا يفترض أن تكون في جميع الأحوال نوعية، بل هناك أعراض ذاتية إذا لم تكن في الفعل كان ذلك الفعل شرا.

وكما أن للظروف حصة في الأفعال الإنسانية أيضا الغاية كان لها الأثر في ذلك، يقول توما الإكويني: يقول "**بويسيوس**" **في كتاب الجدل:**" **من كانت غايته حسنة فهو أيضا حسن ومن كانت غايته قبيحة فهو أيضا قبيح**"[2]، أي يجب النظر إلى دلائل الأشياء والأفعال لكي نستطيع الحكم سواء بالحسن أو القبح، فعلة الفعل هي السبب الرئيسي التي تتوقف عليها صورة الفعل.

لذلك الفعل الإنساني من حيث ارتباطه بالحسن يتعلق بأربعة أضرب الجنس والوجود والظروف والغاية .

وكما سبق الذكر توما الإكويني ربط الأفعال الخلقية(**الخير والشر**) بالعقل،حيث نجده يقول أيضا في هذا الصدد" الأفعال توصف بالحسن والقبح بالقياس إلى العقل، فقد قال

[1]– توما الاكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد3، ص368.

[2]– توما الاكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 3، ص369.

"ديونسيوس*" **إن خير الإنسان قائم بموافقة العقل وشره قائم بمخالفته"، لأن خير كل شيء ما كان ملائما له بحسب صورته وشره ما كان حاصلا له على خلاف ترتيب صورته، وبذلك يظهر أن تغاير الحسن والقبح في الموضوع يقاس الذات إلى العقل"** [1] ،لذلك فالأفعال تصنف كونها إنسانية أو غير إنسانية بحسب صدورها بموافقة العقل.

" **فإذا اشتمل موضوع الفعل على ما يوافق حكم العقل كان الفعل حسنا في نوعه كالتصدق على الفقير، وإذا اشتمل على ما ينافي حكم العقل كان الفعل قبيحا في نوعه كالسرقة التي قي سلب م للغير**" [2] .فالفعل الإنساني يقاس بمبدأ العقل ، فالقانون الخلقي الذي يعتبر مقياس الأفعال هو خاصية من خواص العقل الإنساني، فهذا الأخير تحدث من خلاله عملية الإدراك قبل الوقوع في الخطأ أو الشر.

لهذا يمكن القول أن الخير و الشر موجودان في طبيعة الأشياء، فمسألة الخير والشر كمسألة المتقابلان، أحدهما يعرف الآخر، كذلك حقيقة الشر يجب أن تعرف من حقيقة الخير، فالشر هو نقص للخير أو عدم للخير، وكمال العالم يقتضي التفاوت في الأشياء، فللوجود مرتبتان، فمن الأشياء ما لا يمكن أن يفقده وجوده كغير الفاسدات، ومنها ما يفقد وجوده كالفاسدات، لذلك فالعالم يقتضي وجود مخلوقات غير فاسدة كما يقتضي أيضا وجود مخلوقات فاسدة، لذلك يمكن القول أن حقيقة الشر قائمة بأن شيء ما يفقد الخير[3].

---

*–**ديونيسوس:** اسم مستعار صاحبه كتب 482 و530ب.م تبجيلات تعادل تبجيلات الكتاب المقدس، وأعتبر الأب المطوب للعلم الروحاني الوسيطي، جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص310.

[1]– توما الاكويني: الخلاصة اللاهوتية ،المجلد 3، ص371.

[2]– توما الاكويني: الخلاصة اللاهوتية ، ص377.

[3]–بتصرف : توما الاكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد1، تر: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت،دط،1887، ص57–583.

كذلك يقول الإكويني "**أن الشر ليس له وجود إيجابي، فالله الخالق هو الكامل ومحال أن يكون العالم المخلوق مساويا للخالق في الكامل، لذلك فالعالم ناقص، وهذا النقص في الخير هو الشر** "[1].

[1]– كامل محمد محمد عويضة: توماس الإكويني ، ص50.

المبحث الثاني: الإرادة وعلاقتها بالخير والشر:

إن الأفعال الإنسانية لا تصدر من الإنسان بطريقة عشوائية، بل تصدر بطريقة محكمة ومدبر لها، لذلك أفعال الإنسان سواء كانت خير أم شر تصدر بطريقة إرادية منه، فميزة الإرادة في الإنسان هي التي تجعل منه إنسانا حرا عاقلا ومريدا .

ويقول توما الإكويني :"**إن الله وهب الإنسان الضمير مع حرية الإرادة، وإن على الإنسان أن يطيع ضميره، في كل ما يحكم به**" [1]، أي أن الله وهب الإنسان العقل مع الإرادة ليجعلهما مقياسا لأفعاله قبل صدورها.

لذا موضوع الإرادة هو مطلق الخير والغاية، وكل قوة لها نسبة من خير خاص ملائم لها كنسبة البصر إلى إدراك اللون، ونسبة العقل إلى إدراك الحق، لذا فالإرادة تحرك القوى النفسانية إلى أفعالها ما عدا القوى الطبيعية فهي ليست خاضعة لها [2]، وهنا يمكن القول أن الإرادة هي التي تحرك الإنسان لبلوغ الغاية، فموضوعها كما قال توما الإكويني هو الخير، لذلك غاية الإنسان تتحقق بالإرادة ،فهي التي تحرك قوى الإنسان إلى تحقيقها.

فيرى توما الإكويني أن الأفعال يقال لها أنها إنسانية من حيث هي إرادية والفعل الإرادي يشتمل على فعلين، فعل الإرادة الباطن وموضوعه هو الغاية، وفعل الإرادة الظاهر وموضوعه ما يتعلق هو به، لذلك فالإرادة هي صورة للفعل الظاهر، لأن الإرادة تستخدم الأعضاء للفعل كآلات لها، لذلك غاية الفعل الإنساني تعتبر خيرا صوريا لحقيقته النوعية

[1]– كامل محمد محمد عويضة: توماس الإكويني ، ص51.

[2]– توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 2، تر: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت،دط،1889، ص375.

وموضوع الفعل الظاهر، يعتبر جزءا ماديا له ،وهذا جعله يقول" **إن من يسرق ليزني فهو في الحقيقة أشد اتصافا بالزنا منه بالسرقة**" [1].

والاختيار هو أساس فعل الإرادة، فبدون الحكم فالإرادة لا تكون إرادة، وبذلك فعل الاختيار لا يوصف وصفا تاما بدون قرار الإرادة الذي يصدق على حكم العقل، ولا بدون الحكم الذي تصدق عليه الإرادة، لهذا توما الإكويني في حديثه عن الإرادة ربطها بالعقل العملي الذي حسب رأيه ينشأ بالاختيار الإرادي، لذا فالإرادة الحرة هي من الناحية المادية إرادية ومن الناحية الصورية عقلية [2] ، هنا الإرادة تعمل كمبدأ للأفعال الخيرة والشريرة ، فالفعل الخير نابع من إرادة خيرة صادرة عن العقل والفعل الشرير نابع من إرادة شريرة غير صادرة عن العقل.

لذلك خيرية الأفعال أو شرها يرجع إلى موافقة الإرادة لحكم العقل أو عدم موافقتها له فالنفس الإنسانية خلقت محبة للخير بطبيعتها ومنحت مع العقل حرية الإرادة، ولكنها قد تريد بحريتها ما يخالف العقل فتقع في الخطأ وترتكب الشرور[3].

وقد قال توما الإكويني في كتابه الخلاصة اللاهوتية" **لما كان الخير هو موضوع الإرادة كان الشر الذي هو عدم الخير يوجد في المخلوقات الناطقة ذات الإرادة، فإذا الشر الذي يحصل بنقصان صورة الشيء يتضمن حقيقة العقاب، ولا سيما أن كل شيء خاضع للعدل الإلهي، فمن حقيقة العقاب أن يكون مضادا للإرادة، فإنما يعد واحدا مذنبا متى تخلف عن الفعل الكامل الذي هو ربه بإرادته**" [4]، لهذا نحن مسؤولين عما نفعله بأنفسنا، ولسنا مسؤولين عما يحدث لنا، فنحن نكون أربابا لأعمالنا وما يصدر منا عن كامل إرادتنا،

[1]– توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 3، ص373.

[2]– إثين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ص365.

[3]–بتصرف : محمد محمد عويضة: توما الاكويني، ص،49–50–123.

[4]– توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، مجلد1 ، ص589.

يكون صادرا عن حرية شخصية، لذلك من قام بفعل الخير وهو حر في قراره حسب له خيرا ومن يفعل فعلا شريرا، أيضا يحسب على صاحبه لأنه صدر بكامل إرادته، لذلك الخير والشر هنا لا يأتيان بالصدفة بل هما نتيجة لأفعالنا.

وعلى أن الإشارة لحرية الإرادة، وموافقة الفعل لأحكام العقل، لا نفهم منه إتباع الحرية بالمعنى الحقيقي، لأن الحرية عند توما الإكويني توافق العقل مع النقل لأنه لا يمكن ولا بشكل من الأشكال أن يخرج توما الإكويني عن القضاء الإلهي، لذا تكون الحرية هنا مشروطة ومقيدة، لذا توما الإكويني عندما تحدث عن الخطيئة قال بأن مقترفها يحق عليه العذاب الأبدي الذي يستحيل أن ينجو منه إلا برحمة الله [1]. لهذا حرية الإرادة في القيام بالأفعال الشريرة والخيرة تخضع للقضاء الإلهي، فمن اتبع الأوامر الإلهية كانت حرية إرادته تسير بالشكل جيد، أما إذا كان العكس فالخطيئة تغتفر بالمعونة الإلهية.

لذلك القديس توما الإكويني يحسم الأمر حين سمى هذه الحرية التي لا يمكن أن ينزعها أحد من داخل الإنسان بالحرية* الطبيعية [2]،أي أن الإنسان حر منذ ولادته ، وما دامت حريته الإرادية تستطيع الاختيار، فهي إذا تستطيع أن تختار بين الخير والشر، كما أنها تستطيع أن تميز بين ما هو خير وما هو شر.

لهذا توما الإكويني نظر إلى الحرية على أنها غاية وهي في هذه الحالة تريد الخير أو الشر [3] ، وصنفها هنا إلى ثلاث الحرية على أنها فعل، وعلى أنها موضوع، وعلى أنها غاية،

---

[1]– بتصرف : كامل محمد محمد عويضة : توما الإكويني ، ص124.

* – الحرية: هي خاصة الموجود، الخالص من القيود، العامل بإرادته أو طبيعته كقولهم تظهر حرية الجسم الساقط في هبوطه إلى مركز الأرض بسرعة متناسبة مع الزمان، إلا إذا صادف في طريقه عائقا يمنع سقوطه، كذلك إذا أطلق هذا المعنى على الأفعال الإنسانية دل على الحرية المادية، فالمريض والسجين ليس لهما حرية لأنهما لا يفعلان ما يريدان. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص462.

[2]– إيتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ص366.

[3]– إيتين جلبون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ص371.

وهذه الأخيرة تدل على أن الإنسان يكون حرا لتحقيق غاية يهدف إليها ،وهذه الغاية هي التي تجعله يحدد ما إن كان يريد الخير أم الشر.

ومن هنا يقول توما الإكويني"... **وإنما نستعمل جميع الأشياء بالإرادة،فإذا من الإرادة الخيرة التي بها يحسن الإنسان استعمال الأشياء المحرزة يقال له خير، ومن الإرادة الشريرة يقال له شرير، لأن صاحب الإرادة الشريرة يقدر أيضا أن يسيء استعمال الخير الحاصل عليه، كما لو لحن الغراماطيقي مختارا، فإذا لما كان الذنب قائما بفعل الإرادة الخارج عن حدود الترتيب ،والعقاب قائما بفقدان شيء مما تستعمله الإرادة، كان للذنب من حقيقة الشر أكثر مما للعقاب**" [1]، لذلك لما كان الشر هو نقص في الخير، كذلك الإرادة الشريرة أخطأت في استخدام الخير الحاصلة عليه، وبما أن الذنب أو الشر يقضي بالعقاب، وحب اجتناب الذنب لاجتناب العقاب فحسب رأيه الذنب أكثر شرا من العقاب.

لذا يمكن القول أن توما الإكويني ينطلق من الإرادة المستنيرة بنور العقل، ويرقى نحو الله فيحدث بذلك الخير الخاص بالإنسان الذي يتقيد بالخير الأسمى [2]، لأنه لا يترتب على الإنسان أن يفعل أو يريد من دون الله، فالله هو العلة الأولى وما الإنسان إلا علة ثانوية لإرادته وأفعاله.

[1]– توما الاكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 1 ، ص591.

[2]– عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم ، ص82.

المبحث الثالث: الإنفعالات

يؤكد توما الإكويني أن محل الانفعالات* النفسانية هو الشهوة الحسية التي تتعلق بالخير والشر، فإذا من الانفعالات ما يتعلق بالخير كالمحبة واللذة ومنها ما يتعلق بالشر كالخوف والألم لأن الشهوة الحسية التي هي محل الانفعالات ليست خاضعة فينا للعقل تمام الخضوع، لذلك قد تكون الانفعالات سابقة لحكم العقل، وقد تكون لاحقة له ، باعتبار خضوع الشهوة الحسية للعقل نوعا من الخضوع [1]. وهنا تتم الإشارة إلى أن الإنسان تصدر منه انفعالات نفسانية سواء بحسب ما يشتهي الجسد، أو بحسب ما ترغب الروح، لهذا يمكن تصنيف هذه الانفعالات حسب معيار الخير والشر.

كما يمكن القول أن الإنسان بحوزته توجيهات غريزية، عليه أن يصل بها إلى الكمال عن طريق التربية الذاتية، والأمر ليس بالإخضاع العنيف للعواطف تحت ما يسمى بالقوانين الأخلاقية، بل بتنظيم الجهاز النفسي للإنسان وتهذيبه، لأن الإنسان قادر على أن يفعل وبسلك طريق الخير، بل وكذلك أن يسلك سلوكا طيبا [2]، لذا هذه الانفعالات التي تصدر من الإنسان يمكن تهذيبها بطريقة سلمية لبلوغ الخير الأقصى والكمال فكلما مورس العنف على الإنسان إزاء هذه الانفعالات كلما كان التمسك بها أكثر لذا من بين هذه الانفعالات:

1- المحبة:

يقول توما الإكويني:" **إن المحبة إلى القوة الشوقية التي هي قوة منفعلة، فنسبة موضوعها إليها نسبة علة حركتها أو فعلها، وعلى هذا فإن علة المحبة بالخصوص ما كان موضوعها، وموضوع المحبة الخاص هو الخير، لأن المحبة تدل على ميل طبيعي**

*الإنفعال: من معانيه أنه شيء يجري على خلاف ما يجري به الأمر الذي هو بالتمييز والفكر .أنظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي،ج1،ص166.

[1]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 2 ، ص539.

[2]- إ.م. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، تر: د. عزت قرني، عالم المعرفة،العدد165، ص515.

وارتياح في المحب إلى المحبوب، وإنما يكون خير لشيء ما كان معادلا له ويميل إليه طبعا ذلك الشيء ومن ذلك يتحصل أن الخير هو العلة الخاصة للمحبة" [1]، لذا تعد المحبة شيء راجع للشوق ويتضح أن كلاهما موضوعهما الخير، فالشوق أو الاشتياق إلى شيء ما يختلف باختلاف هذا الشوق، فهناك شوق طبيعي وشوق حسي فمثلا يقال المتشوق لخير ما، والتلذذ بالخير هو محبة حسية.

وهذا ما يؤكده في قوله أن المحبة هي إرادة الخير لشيء، لذا فالمحبة تتوجه إلى أمرين، أي إلى الخير الذي يريده المحب لشيء أي لنفسه أو لغيره وإلى ما يريد له الخير، وما يريد له المحب الخير يتعلق بمحبة الصداقة [2]، وهذا يدل على أن المحب إذا أراد الخير لنفسه، فهو يريده إلى غيره، وهذا ما يسمى الصداقة الحقة أو الحقيقية.

ومن ناحية أخرى ربط الإكويني المحبة أو الحب بالله، عندما قال أن" **مماثلة الإنسان لله هي كماله**" [3]، وهذا يدل على أنه كلما كان الإنسان صورة لله كلما كان يشبهه أكثر، فالله هو الكمال، وهو يحب ذاته بطريقة شاملة، لذا حسب رأيه وجب حب الله من أجل الله فحب الله هو الطريق الحقيقي لأن يحب الإنسان نفسه،وبهذه الطريقة يحدث له الخير المرغوب الذي يرضي الله

2- اللذة:

يرى توما الإكويني في حديثه في اللذة أن يعظ الفلاسفة ذهبوا إلى أن جميع اللذات قبيحة وهذا ما يدل على أن أصحاب القول أرادوا اللذة الجسدية، لأنهم لم يكونوا على الأغلب يميزون بين العقل والحس، وهذا ما دفعهم للقول أن من يتبع اللذات المفرطة بلغ منتصف

[1]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 3 ، ص464.

[2]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 3 ، ص462.

[3]- إيتين جلسون: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ص354.

الفضيلة، لكن أغلب الناس لم يتبعوا هذه الفكرة، فقد وجدوا بأن من يقولها يفعل بعكسها فاتجهوا إلى إتباع الأفعال لا الأقوال، لأن لها التأثير الأكبر، لذا يرى أن بعض اللذات حسنة وبعضها الآخر قبيح، لذلك من جهة الخير الذي يسكن عنده الإنسان ويستلذه لأن صفة الحسن والقبح تعتبر بحسب موافقة العقل ومخالفته. لذلك يقول" **لما كانت شهوات الأفعال الحسنة حسنة وشهوات[1] الأفعال القبيحة قبيحة، كانت بالأولى لذات الأفعال الحسنة حسنة ولذات الأفعال القبيحة قبيحة**"[2].

حيث يؤكد أن الرواقيين *[3] قبحوا جميع اللذات، كذلك أتباع أبيقور حسنوا جميعها لقولهم أن كل لذة حسنة في نفسها[4]، وهذا يعارض القائلين بأن اللذة هي شر، بل قد تكون اللذة في بعض الأحيان حسنة وخيرة، لا يمكن أن نصنفها ضمن الخير المطلق، أو الحسن المطلق، لكنها تكون حسنة، لهذا ضرب مثال الأبرص الذي يتناول الأدوية المسمومة التي ليست ملائمة للمزاج على أنها لذة حسنة وخيرة .

ومن هنا يقول" **بأن الفرح نوع من اللذة كما قال ابن سينا في النفس ، لأن الشهوات منها ما هو طبيعي، وما ليس طبيعي ولكنه تابع للعقل، كذلك اللذات، فالفرح لا يطلق إلا على اللذة التابعة للعقل، فأحيانا يشعر الإنسان بلذة في البدن ولا يفرح بها في العقل.**[5]

---

[1]– الشهوة: الرغبة الشديدة في التمتع باللذات الحسية والانغماس فيها. أنظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص711.

[2]– بتصرف : توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 3 ، ص536.

[3]– الرواقية: مذهب زينون وغيره من فلاسفة اليونان، سموا بالرواقيين لأن زينون صاحب المذهب كان يعلم تلاميذه في الرواق.. جميل صليبا:المعجم الفلسفي،ج1،ص622.

[4]– توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 3 ، ص538.

[5]–توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية،المجلد3 ، ص503.

وبهذا يقول توما في الخلاصة اللاهوتية".... **يحكم على الإنسان بالصلاح والفلاح من لذة الإرادة الإنسانية ،لأن الصالح يتلذذ بأفعال الفضائل والطالح يتلذذ بالأفعال القبيحة**"[1]، لأنه وكما سبق الذكر أن موضوع الإرادة هو الخير لذلك الصالح يستلذ من الإرادة الموافقة للعقل على خلاف الأشرار والطالحين.

3- الألام والشرور(الغضب، البغض، الخوف، اليأس، الاغترار):

إن علة اللذة هي الخير أما علة الألم هي الشر لذلك اللذة تامة وكاملة، أما الشر فهو الناقص، فكما يرى الإكويني طلب اللذة أعظم من الهرب من الألم، فالخير الذي هو موضوع اللذة يطلب لذاته ،أما الشر الذي هو موضوع الألم فإنما يهرب منه من حيث هو عدم الخير فعلى سبيل المثال الاحتياج إلى أحد أو محبوب يحدث الألم، أما اللذة فلا تحتاج إلى خير ذلك الشخص لأنها تتشكل فيه بعد حصوله.

وكما سبق فإن الشر هو عدم الخير، لذا فإن التألم بالخير المفقود هو نفسه التألم بالشر الواقع، فالألم يحصل بالهرب، والنفور واللذة تحصل بالإدراك والميل، فكما أن اللذة تتعلق بالخير، كذلك الألم* يتعلق بالشر[2].

لذلك فالبغض والغضب موضوعهما الشر، فعن الأول يقول" **أن لكل شيء نفور طبيعي عما هو منافر ومفسد، فكما أن المحبة هي ميل إلى الشوق ،فالبغض هو نفور من الشوق لذلك فالبغض يتضمن حقيقة الشر**[3]. البغض يحدث عندما يكون الآخر مفسدا أو مانع لما يلائم الشخص، وهذا ما يولد الشر حتى لو كان البغض يحدث نتيجة المحبة أو الصداقة.

---

[1]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية ،المجلد 3 ، ص542.

*- الألم: مقابل للذة هو من الأحوال النفسية الأولية، عرفه أرسطو في قوله اللذة تنشأ عن الفعل الموافق لطبيعة الكائن الحي، والألم ينشأ من الفعل المضاد لطبيعة الفاعل. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص124.

[2]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية ، المجلد 3 ، ص554-562.

[3]- توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية ،المجلد 3 ، ص 482.

أما الغضب فيتعلق بموضوع من جهة الخير وهو الإنتقام الذي يشتهيه، وبموضوع آخر من جهة الشر وهو الإنسان المضر الذي يريد الانتقام منه، لذلك كان الغضب انفعالا مركبا على نحو ما من انفعالين متضادين [1]، وهذا يعني أن الغضب أحيانا يصنف في خانة الانفعالات الخيرة باعتباره شهوة مرجوة، وأحيانا في خانة الانفعالات الشريرة باعتباره انفعالا يحقق نتائج سلبية على الشخص الذي يريد الانتقام منه.

بالإضافة إلى قوله "**الغضب للحق خير، والغضب لمنفعة ذاتية شر**"[2]، وهذا يدل على أن الحكم على الغضب يكون بالحكم على الغاية من وراء هذا الغضب ،فإذا كانت الغاية مرغوب فيها ولائقة كان الغضب خيرا، وإن كانت غير منشودة كان نتيجة هذا الغضب شر.

كذلك من بين الإنفعالات المرتبطة بالشر نجد الخوف، فكما يقول توما الإكويني "**الحركة التي تفيد الطلب فموضوعها هو الخير، أما الحركة التي تفيد الهرب فموضوعها الشر، ولما كان الخوف يفيد نوعا من الهرب كان موضوعه الشر، لكنه يرى أنه يجوز أن يتعلق بالخير من خلال نسبته إلى الشر، وهذه النسبة تكون على نحوين ،أولا من حيث ينعدم الخير بالشر ،وثانيا من حيث يكون الخير علة للشر ،لأن الخوف يتعلق بأمرين الشر المهروب منه والخير الذي يستطيع بقوته إنزال الشر**[3]، ومعنى ذلك وكما سبق الذكر أن الشر هو نقص في الخير لهذا *فالخوف[4] موضوعه الخاص هو الشر لأنه مهروب منه من قبل الناس، بالإضافة إلى ارتباطه بالخير، فمثلا هروب الشخص من شر ينعدم به الخير انعداما كليا يعد من الأمور الحسنة.

---

[1]– توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 4، تر: الخوري بولس عواد، بيروت، د.ط، 1898، ص54.

[2]– يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ص162.

[3]– توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 4، ص24.

[4]– الخوف: إنفعال نفساني يعرض عن تصور شر قريب الوقوع. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص545.

أما اليأس فتحدث عنه توما بربطه بالفضائل الإلهية على أنه قنوط من المشاركة في خيرية الله، فعدم التصديق بالحق الإلهي أو بغض الله هو خطيئة أعظم من القنوط، من نيل المجد منه لذا يقول:" قال الشارح في تفسير **قوله" ليس أقبح من اليأس فإن من يستولي عليه يفقد العزيمة في مشاغل هذه الحياة بالعموم، وما هو شر من ذلك أنه يفقدها بالخصوص في جهاد الإيمان**" ويقول أيضا **قال إيسيدوروس في كتاب الخير الأعظم**" **النفس تموت باقتراف جريمة ما ولكنها باليأس تهبط إلى جهنم**" [1]، وهذا يدل على أن فقدان العزيمة أو الثقة خاصة بالله هو أعظم خطيئة يقترفها الإنسان، فأولى أن يتمسك الإنسان بالخلاص الإلهي على أن يقنط من رحمته، كذلك اليأس في مشاغل الحياة هو بمثابة موت الروح قبل موت الجسد. فإذن اليأس هو من الشرور التي تهبط عزيمة الإنسان في الدنيا.

و الاغترار أيضا من بين الانفعالات التي قد تكون عواقبها شر، فيرى توما الإكويني في مسألة الاغترار أنها تشبه مسألة اليأس فكما أن الحكم بأن الله لا يغفر للتائبين أو لا يهدي الخطأة إلى التوبة باطل، كذلك الحكم بأنه يغفر للمستمرين في الخطيئة باطل أيضا [2]، لهذا الإفراط والاستمرار بالتشبث بإيجابيات الأشياء أمر سلبي في بعض الأحيان، فمثلا الاستمرار في فعل المحرمات والخطيئة والاغترار بأن الله غفور رحيم أمر باطل، لأن هذا الأمر يدفع إلى الاستمرار والتشبث بالخطأ، لا محاولة الابتعاد عنه، لذلك فالغرور هو تصور الإنسان لاستحقاق مرتبة لا يكون أهلا لها ولا يستحقها.

لذلك نستنتج أن الكلام على الانفعالات كالكلام على الأفعال، فالحسن والقبح أو الخير والشر يتعلق بنوع الانفعال، من حيث يعتبر موضوع الانفعال شيئا موافقا في نفسه

[1]– توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 5، تر: المطران بولس عواد، المطبعة الأدبية ، بيروت، د.ط ، 1908، ص609.

[2]–المصدر نفسه ، ص614–615.

للعقل، أو مخالفا له [1]، وهو ما يدل على أن الانفعالات تصنف على أنها خيرة أم شريرة على حسب موضوع الانفعال، أو على حسب الغاية من الانفعال، فكما تحدثنا عن الخوف الذي يفيد الهرب على أن موضوعه الشر لكنه في بعض الأحيان قد يكون موضوعه الخير كما سبق ذكره.

[1]– توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، مجلد 3 ، ص446.

نستنتج أن الأفعال الصادرة عن الإنسان هي معيار الحكم على جانبه الأخلاقي فتميزه بالعقل والإرادة، جعلاه يحاكم على ما يصدر منه، فإن اتبع الخير يحاسب عليه كونه إنسان عاقل وإتباع العقل يؤدي الصلاح، وإن اتبع الشر أيضا يحاسب عليه كون الإنسان العاقل لا يمكن أيضا يقترف الشرور عن إرادة حرة إلا إذا خالف أحكام العقل، لذلك فالانفعالات الصادرة عن الإنسان سواء كانت صادرة عن تعقل أو مخالفة للعقل ستخضع للتصنيف وعلى أساس هذا التصنيف يظهر الجانب الأخلاقي للإنسان، كونه لا يمكن أن ينكر تميزه بالعقل والإرادة ،فنكرانهما يجعله في مرتبة الحيوان والجماد.

الفصل الثالث :

الخير والشر وعلاقتهما بالجانب اللاهوتي عند توما الإكويني

- الخير والشر والصفات الإلهية
- الخطيئة
- قضية الخلاص المسيحي عند القديس توما الإكويني

تمهيد :

إن الله خلق الإنسان بطبيعة خيرة، وميزه بالعقل، لذلك لا يمكن أن نتصور أن الله الخالق الكامل يمكن أن يخلق شيئا ناقصا ،لكن الإنسان لم يعرف كيف يستغل النعم التي أنعمها الله عليه وسار في الاتجاه المعاكس بانتهاك القواعد الإلهية . فبعد معرفة الخير والشر واتضاح الأفعال الخيرة من الأفعال الشريرة وضح للإنسان تمام الوضوح الميزان العادل الذي من خلاله يجازى على أفعاله أو يعاقب ،ومن خلال هذا ارتأينا توضيح الجانب الإلهي و علاقته بموضوع الخير والشر ،وما هو جزاء الخير والشرير في ميزان العدل الإلهي للإجابة على بعض التساؤلات التي من بينها :

هل كل ما يصدر عن الإنسان يحاسب عليه ؟

المبحث الأول: الخير والشروالصفات الالهية

إن توما الإكويني تحدث عن الصفات الإلهية عندما حاول إثبات وجود الله في فكره وفلسفته: لذلك سنحاول ربط فكرة الخير والشر بالصفات الإلهية، للحديث عن الخيرية الإلهية من خلال صفاته، وهل يصدر من الله شرور أم لا؟

عند الحديث عن خيرية الله نجد توما الإكويني يقول "...**لما كان الله هو العلة الأولى المؤثرة بجميع الأشياء وضح أن حقيقة الخير ملائمة له، ولذا قد وصفه ديونسيوس بالخيرية من حيث هو العلة الأولى والمؤثرة بقوله في الأسماء الإلهية "إن الله يوصف بكونه خيرا من حيث أن جميع الأشياء حاصلة منه على قيامها بأنفسها""**[1]. فبما أن الخيرية موجودة في الأشياء، والأشياء هي من خلق الخالق تبين أن الخالق الذي هو الله يتصف بالخيرية على وجه الخصوص لأنه هو العلة الأولى وهو من وضعها في الكائنات.

لذلك من صفات الله التي تحدث عنها توما الإكويني الكمال*، فكمال الله بين أنه الموجود الأول الذي هو علة لكل شيء، فالكمال فيه أثر من الكمال الموجود في الأشياء لهذا فتمام الكمال في الذات الإلهية يدل على تمام الخيرية في الله، فما هو غاية في الكمال هو غاية في الخيرية[2]، ومن هنا الله يترفع عن باقي المخلوقات بالكمال لأنه الموجود الأول ومادام كاملا فهذا يعني أن لا يشوبه نقص أبدا ومادام كذلك فهو خير مطلق، مطلق كماله.

ومن ناحية الكمال، فالله هو الخير الأعظم* فهو يوصف بالخير الأعظم لأن جميع الكمالات صادرة عنه على أنه علتها الأولى، فإذا لما كان الخير موجود في الله لأنه العلة

---

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 1 ، ص 70.

*- الكمال :مصدر كمل وهو حال الكامل ،ويطلق على ما يكمل به النوع في ذاته أو في صفاته .جميل صليبا :المعجم الفلسفي ،ج243،2.

[2]– ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الاكويني، مركز الدلتا للطباعة والنشر، الإسكندرية ،دط،دت، ص 49.

*– الخير الأعظم: أ–قمة الخير أو الغاية العليا للأخلاق . ب–والخير الأسمى أو الخير المحض، أو الخير المطلق، أو الخير الأول هو الله غاية الغايات، أنظر: إبراهيم مدكور: المعجم الفلسفي، ص 82.

الأولى يلزم أن يكون على غاية القوة والاشتداد، ولهذا يقال له الخير الأعظم، وكما أن الله وحده خير بماهيته، لأن كل شيء يقال له خير من حيث هو كامل، والله وحده حاصل على كل ضرب من الكمال بحسب ماهيته، لذا كان وحده خيرا بماهيته [1]. لذا فالله هو الخير الأعظم بحسب كماله، فخير المخلوقات بالنسبة إلى الخير الكامل يعد خيرا ناقصا، لا يمكن أن نصفه بالخير الأعظم، ما دامت صفة الكمال لا يتصف بها إلا الله كانت صفة الخير الأعظم هي صفة إلهية محضة لا يتصف بها إلا الله.

وإذا كانت الذات الإلهية هي الخير ذاته، فهي إذن بطبيعتها مصدر الخير في الوجود، ومنها يفيض الخير على ما سواها من الموجودات، فالخير الكائن في الموجودات إنما هو قبس من الخير الإلهي المطلق، ولهذا فوجود ذلك الخير في المخلوقات ليس من جوهره طبيعتها ولكنه عرض لها، وهذا العرض فائض على الأشياء بمقتضى الوجود الإلهي الذي هو من طبيعته الخير ذاته، وبهذا فالله خير بذاته وخيرية الله تقضي جودة، وبفضل الوجود الإلهي يفيض الخير على سائر الموجودات [2]، وهذا يعني أن الخير الموجود في العالم المحسوس هو جزء من الخير الإلهي الذي وزعه الله على الخلق، فهو مجرد فائض إلهي وليس موجود في جوهر الإنسان من الخلق، لذلك فهو ناقص بنقص الكائنات، فالخير الموجود فيها مهما بلغ أوجه إلا أنه ناقص لأن الكائنات بطبيعتها لا تتصف بصفة الكمال.

والخير الإلهي إذن هو خير كامل مطلق لا يشوبه نقص فهو تام كتمام الكمال فيه، و بذلك هو أعظم بعظمته.

وبالإضافة إلى صفة الكمال نجد توما الإكويني يربط بين الإرادة والمحبة، بوصفهما صفتين من صفات الله، بمعنى أن الحب يتطلب إرادة، وطالما وجدت الإرادة وجد الحب، والله مريد وكذلك فالله هو محبة، لأن الحب هو عبارة عن "أن تريد الخير لشخص ما"[3]. هنا

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 1، ص 71، 73.

[2] – ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة توما الإكويني ، ص 50.

[3] – ماهر عبد القادر: دراسات في فلسفة العصور الوسطى، درا المعرفة الجامعية، د.ط، 2000، ص 440.

توما الإكويني يتحدث عن الإرادة لأنها من البراهين على وجود الله التي تحدث عنها وهي دقة نظام الكون وهذا يدل على القدرة الإلهية التي بها يريد وبها خلق الكون في نظام محكم، وكما قال طالما وجدت الإرادة وجد الحب ،والحب من الانفعالات الشوقية التي تصف في خانة الخيرات، لذا الإرادة والحب من الصفات الإلهية الخيرة.

وتأكيدا لهذا يقول توما الإكويني "**كل من كان فيه إرادة أو شهوة يجب أن يكون فيه محبة**"[1]. وهذا يثبت وجود المحبة في الله ومتى وجدت المحبة وجد الخير، فالحب أينما وجد كانت غايته الخير للطرف الآخر أو للمحبوب.

فهو يوجب إضافة الإرادة لله لأنه يرى أن الإرادة تنبع من العقل من حيث أنها الميل إلى الخير المعقول، ومحبة هذا الخير متى حصل، فالله يريد ذاته على أنه خير وغاية، والله يريد غيره فإن من شأن الخير أن يشرك غيره في خيره، وهذا بالخصوص من شأن الخيرية الإلهية [2]، وهنا لايثبت وجوب الإرادة الإلهية فقط، بل يتحدث عن إشراك المخلوقات في الخير الإلهي الكامل، فكما قال الخير يشرك غيره في خيره، والله بما أنه الخير الأعظم، فهو يشرك مخلوقاته بجزء من خيره.

وكما قال توما الإكويني "... **أما محبة الله فهي التي تفيض الخيرية على الأشياء وتبعدها فيها**"[3]. لأن المحبة الإلهية الموجدة في الله هي محبة خالصة، لا تشبه محبة البشر التي يمكن أن يشوبها الشر، أو تكون محبة ذاتية، فمحبة الله هي علة الخير الذي يفيض منه على مخلوقاته.

إلا أن الخير الإلهي الأعظم هو خير كلي يفوق جميع صور أو أجناس الخيرات الجزئية بأي وجه من الوجوه، كذلك لما كانت الموجودات تستمد خيراتها من الله، فإنه لا

[1] – توماالإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 01ص 277.

[2] – يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، ص 150.

[3] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد الأول، ص 380.

يطلق عليها صفة الخير إلا على سبيل المماثلة أو الاشتقاق من الخير الأعظم[1]، فالخير الموجود في المخلوقات يشوبها النقص، والنقص ليس من الصفات الإلهية.

فعند حديث توما الإكويني عن الصفات الإلهية الخيرة، رأى أن معرفتها تكون بطريقة قياس النظير، ذلك لأن كل علة لابد أن تترك أثرها في معلولها، لأن المعلول صادر عن العلة، فإذا كان الله علة الموجود فلابد أن نجد في الوجود تشابها بينه وبين الموجود، لكن يجب أن يلاحظ أن المعلول يشبه فقط العلة، ولا يساويه في درجة الشبه[2]، وهذا تأكيد على اختلاف الخير الحاصل في الله من جهة، والخير الحاصل في المخلوقات و الموجودات من جهة ثانية، فرغم الاشتقاق* والمماثلة إلا أنه هناك اختلاف واضح. *

فالخير في الله يمتاز عما سواه، يأته خير بالماهية بينما سواه خير بالمشاركة و ذلك من حيث أن الله حاصل على ضرب من الكمال وهذه الأضرب ثلاث:

الضرب الأول: أن الخير في الذات الإلهية أمر جوهري، لأن الذات الإلهية حاصلة على الخير بصورتها الجوهرية، فالخير عين الكمال وعين الذات في نفس الوقت.

الضرب الثاني: بيان بعض الصفات الخيرية، وهي الجود الذي به يفيض الخير على الموجودات.

الضرب الثالث: أن خيرية الذات الإلهية معنى قائم في ذات الخير، لا ترتبط بمعنى أخر[3].

---

[1] – ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة توما الإكويني، ص 51.

[2] – عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى ، ص 155.

* – الاشتقاق: في اللغة هو أخذ شق الشيء، تقول اشتق الكلمة من الكلمة أي أخرجها منها، أنظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص 91.

* – الفيض: يقصد به أن جميع الموجودات التي يتألف منها العالم تفيض عن مبدأ واحد أو جوهر واحد، أنظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، ص 172.

[3] – ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الإكويني ، ص 51.

وهذا برهان على أن الخير الكلي هو الخير الإلهي، وأن الخير الموجود في العالم المحسوس هو خير ناقص لأن الله لو لم يخلق الإنسان ناقصا لصار مساويا له، إذن الخير الإلهي يختلف عن خير البشري.

بعد إثبات الخيرية في الذات الإلهية، وجب ذكر بعض أفعال الله الخيرة كالعدل*، فقد أثبت توما الإكويني العدل الإلهي عندما قال أن للعدل ضربان أحدهما قائم على قبول الطرفين، وهو العدل القائم في البيع والشراء وهذا لا يلائم الله، والثاني قائم في التوزيع وهو ما به يعطي مدبر أو مقسم كلا بحسب مقامه، كذلك نظام العالم المشاهد في الأشياء الطبيعية، يفصح عن عدل الله وبناءا على هذا قال ديونسيوس في الأسماء الإلهية "**يجب أن يعتبر عدل الله الحقيقي قائم بإتيانه كل شيء ما يخصه بحسب مقامه وبحفظه في كل شيء طبيعته في رتبته و قوته الخاصة**"[1]. وهذا إثبات على العدل الإلهي، حيث يصنف في الخانة الثانية لضرب العدل، فالله هو خالق هذا الكون وهو مدبره، وبالتالي عدله سيعم جميع مخلوقاته في تسيير أمورها، كل حسب حاجته، لذلك فالله هو مصدر العدل ، وأن ابتغاء وجه الله من طرف الموجودات هو الطريق الحقيقي للحصول على العدل الإلهي.

لذلك لابد من وجود العدل في كل أفعال الله، لأن فعل العدل الإلهي يفترض فعل الرحمة سابقا ويبنى عليه، لأن الخليقة لا يجب لها شيء إلا لأجل شيء سابق، وذلك السابق أيضا يجب لأجل شيء سابق عليه، ولما كان التسلسل ممتنعا كان لابد الانتهاء إلى أن خيرية الإرادة الإلهية وحدها التي هي الغاية القصوى، لذلك الرحمة ظاهرة في أفعال الله، باعتبار أصلها الأول وقوتها تبقى في جميع اللواحق، لذلك الله يؤتي الخليقة خيريته بسخاء[2]، وهذا يظهر العدل والرحمة الموجودة في الله دون أي شيء أو تصور سابق عنها، كما هو

* – العدل: العدالة في اللغة الاستقامة، وفي الشريعة الاستقامة على طريق الحق، والبعد على ما هو محظور ، أنظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص 58.

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 1، ص 286.

[2] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 1، ص 292.

موجود عند الإنسان الذي ينبع العدل منه إزاء شيء أو تصور سابق، فالعدل الإلهي يفترض الرحمة كشيء سابق لتفيض خيريته على خلقه، وهذا ما يظهر عند ارتكاب إنسان لذنب أو إثم، فإنه يبتغي العدل الإلهي للمغفرة لأن عدله يقوم على أساس الرحمة والرأفة بالعباد.

وهذه الرحمة الإلهية والعدل الإلهي نابعان من خيرية الله، أو بصيغة أخرى من الخير الموجود في الإله، لذلك يقول أن "**أجل أن الله يريد الخير على الدوام، والإنسان يرغب رغبه طبيعية في محاكاة الله الخالق، وهذه المحاكاة مصدر كل قيمة يتمتع بها الإنسان**"[1]. فبما أن الإنسان عاقل والتعقل يعني فعل الخير والابتعاد عن الشر، كانت المحاكاة هي مصدر الخير للإنسان، فمن خلال محاكاة الله الخالق تتحقق القيم المجودة في الإنسان، فالسعادة الحقة هي الآخرة أو كما عبر عنه بمحاكاة الله، والسعادة ناقصة، فقوامها الأول هو معرفة الله ومحبته.

لذلك سيظهر العدل الإلهي عند ارتكاب الخطيئة أو الرذيلة ،وهذا ما سيظهر في المبحث القادم، فعدل الله ورحمة ستعم جميع البشر إن عرفوا طريق الصواب، لأن الله هو العلة الأولى ولا سابق له، لذا كانت رحمته وعد له واجبا بهذا الاعتبار.

وكما أنه عادل ورحيم وخير ومحب كذلك خيره يظهر في نعمته على البشر، فالنعمة لا تكون إلا لله ،على حد تعبير توما الإكويني أن موهبة النعمة مجاوزة لكل قوة في الطبيعة المخلوقة إذ ليست إلا مشاركة في الطبيعة الإلهية المجاوزة لكل طبيعة سواها ،فيستحيل إذن أن يكون شيء من المخلوقات علة للنعمة لأن التالية أي الاشتراك في الطبيعة الإلهية بإبلاء نوع من التشبه بها يستحيل على خير الله كما يستحيل الإحراق على غير النار[2]، لذلك فالنعمة خاصة بالله فقط، فهو وحده ينعم على مخلوقاته بجزء من صفاته أو جزء من أفعاله،

[1] – عادل العوا: العمدة في فلسفة القيم، ص 81، 82.

[2] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 5، ص 319.

وبذلك يكون الخير في العالم المحسوس هو بنعمة من الله، لإزالة الشر وتفشي الخير في الخليقة، ليعيش الإنسان بسلام.

لذلك جميع الحركات الجسمانية والروحانية تستند للمحرك الأول الذي هو الله، ولهذا مهما يكن لطبيعة جسمانية أو روحانية من الكمال لا تستطيع أن تفعل فعلها ما لم تحرك من الله، لذا ففعل العقل وكل موجود مخلوق يتوقف على الله من وجهين أولا من حيث تحصل له منه الصورة التي بها يفعل، وثانيا من حيث يتحرك منه إلى الفعل [1]. فالأفعال الصادرة عن الإنسان خاصة الخيرة هي نعمة أنعمها الله على عباده، باعتبار أنه المحرك لأفعال البشر، إذن الخير الإلهي يتجسد في الإنسان من خلال نعمة الله عليه، فلولا هذه النعمة لكان الإنسان غارقا في الشرور والأخطاء ولكان الخير منعدما بين البشر، فصورة الفعل الإنساني الخير هي صورة عن النعمة الإلهية الحاصلة فيه.

ومن هنا القديس توما الإكويني يجعل العناية الإلهية* شاملة للأشياء جميعا، لأن علية الله الذي هو الفاعل الأول تمتد إلى جميع الموجودات، أي عناية الله هي سبب اتساق الأشياء نحو غايتها، فلا بد أن تكون جميع الأشياء خاضعة لغايته [2]، فالأشياء التي تحدث للبشر ليست تحدث من خلال الصدفة، أو بطريقة عشوائية بل تحدث بعناية إلهية وهي نعمة من الله على البشر، فكلما ارتكب البشر الشرور وخرجوا منها سالمين هذه ليست صدفة أو من محاسن الأقدار بل نعمة العناية الإلهية الخيرة الموجودة في الإله فمن صفاته المحبة الجوهرية، لذلك هذه المحبة لله في خلقه تظهر من خلال عنايته لهم.

إذ نجده يقول "...**العناية ملائمة لله إذ ليس فيه ما سياق إلى غاية لأنه هو الغاية القصوى، فإذا سبب سوق الأشياء إلى الغاية يسمى في الله عناية وعلى هذا قال**

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 5، ص 274.

* – العناية الإلهية: هي إحاطة علم الله بالكل، حتى يكون كل شيء على أحسن نظام يحقق به غايتهر. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، ص 110.

[2] – ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الإكويني، ص 84.

بويسيوس "إن العناية هي نفس السبب الإلهي القائم في سير جميع الأشياء الأعظم والمرتب لجميع الأشياء ،ويقال ترتيب لكل من سبب سوق الأشياء إلى الغاية وسبب سوق الأجزاء إلى الكل""[1]. فالعناية الإلهية بالبشر بإرجاع الجزء إلى الكل، أو بمعنى آخر إرجاع الخليقة إلى الخالق فالله ليس له غاية باعتباره الغاية القصوى، واهتمام الله بالبشر هو تذكير للعودة إليه قدر المستطاع، فهو مصدر الأشياء جميعا حتى وإن كان البشر يعرضون عن هذا سواء من الجهل أو من خلال النفوس الشريرة، فتضل العناية الإلهية نعمة لتذكير البشر بأن هناك خالق خير متى عدنا إليه تحقق لنا الخير بكل أنواعه من سعادة وحب وصداقة وعدل.

فمن شأن العناية الإلهية أن توجه الأشياء نحو غايتها، وفي الأشياء خير إلهي هو غاية خارجة عن الأشياء ،وخير آخر وهو كمال الكون وهذا الكمال لا يتحقق ما لم يوجد في الأشياء جميع مراتب الوجود، لذلك كان من شأن العناية الإلهية أن تبدع كل مراتب الوجود [2].إذ أن الإنسان يسعى إلى الكمال في العالم المحسوس ،لكن تضل مراتب وجوده ناقصة .والله حسب توما الإكويني بعنايته الوحيد القادر على منح مراتب الوجود للإنسان لبلوغه الخير الأسمى والسعادة القصوى والتي لا توجد لا في الحياة الآخرة أو بصياغة أخرى لا توجد إلا في الله.

لأن توما الإكويني يؤكد أن الخير الأسمى ليس شيئا آخر سوى الله نفسه،لأنه الخير الذي تكون جميع الخيرات الأخرى في حياة الإنسان تابعة له ومندرجة تحته [3] فالقيم الأخلاقية الموجودة في الإنسان، والتي يسعى الإنسان إلى بلوغ ذروتها أي بلوغ القيم العليا هي بفضل أتباعه لله واندراجه تحت القانون الإلهي الذي يؤدي إلى بلوغ الخير الأسمى الذي هو الله، فالقانون الإلهي قاعدة تهدف إلى الخير دائما،لأن الخيرية الإلهية تطال جميع

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 1 ،ص 295.

[2] – ميلاد ذكي غالي:الله في فلسفة توما الإكويني ،ص85.

[3] _أمل مبروك عبد الحليم :مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة ،مجلة كلية الأدب ،جامعة عين شمس ،العدد100،ص726

الأشياء من خلال محبتها وعنايتها وغفرانها للأخطاء وغيرها من الأفعال الإلهية، لذلك حب الله هو سعادة الإنسان ونعمه في الحياة الدنيا وفي الآخرة أيضا.

والله كله خير وهو عبارة عن خير نفسه، فهو الخير في كل ما يوصف بالخير[1]. لأن القوة الإلهية تسهر على نشر الخيرية الموجودة في جوهرها، لذلك كل ما هو خير فهو يعود إلى أصله الخير الذي هو الله فهو أصل كل شيء.

وبعد إثبات الخيرية في الله، يجب التساؤل عن الشر، هل يوجد في الله شرور، باعتبار أن الشر مقابل لمعنى الخير.

يرى توما الإكويني أنه لما كانت حقيقة الخير هي حقيقة المشتهي، وكان الشر مقابلا للخير فلا يمكن أن الشر يشتهى من حيث هو شر، بل قد يشتهى من حيث يلزم عن الخير فالأسد قاتل الإبل بقصد الطعام، فإذا ليس الشر يشتهى ولا بالعرض إلا إذا كان الخير المقارن له الشر يؤثر بالشهوة على الخير المنعدم بالشر، لذا الله لا يؤثر بإرادته خيرا على خيريته ،لكنه يؤثر بها خيرا على خير آخر، فهو إذا لا يريد أصلا الشر الذي ينعدم به التوجه إلى الخير، بل هو يريد شر العقاب بإرادته الخيرة، لأنه بإرادة العدل يريد حفظ الترتيب الطبيعي، ودثور بعض الأشياء طبعا [2]. إذا الله لا يريد الشرور باعتبار أن إرادته خيرة كما سبق الذكر، لأن الله لا يشتهي شيئا له لأنه هو الكمال والخيرية في حد ذاته، بل يشتهي للآخرين أو لخلقه، وبما أن الخير يشتهى فالله يشتهي الخير لعباده وأما من جهة أنه يريد الشر أو العقاب فغايته من هذا هي الخير لاندثار الأفعال والأشياء الشريرة التي تحدث في الوجود، فكما ضرب مثال الأسد الذي يصطاد الإبل بقصد الطعام، هذا الفعل شر لكن ليس شرا محض بل شر تتضمن غايته الخير وهي الطعام.

[1] – كامل محمد محمد عويضة: توماس الإكويني ، ص 98.

[2] –توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 1 ، ص 270.

لذلك يجرد توماس الاكويني الشر من أية حقيقية موضوعية ومطلقة، فالله خير محض لا يصدر عنه إلا الخير، وأن ذاته لا تكون مصدر الشر في هذا الوجود [1]. فالشر يوجد في العالم المحسوس لأن الإنسان يتميز بالنقص لذلك يقع في شر نفسه، وهذا يخالف الذات الإلهية العاقلة التي تتصف بالكمال، فمن يتصف بالكمال لا يمكنه أن يفعل الشرور لأنه متعالي عنها، والكمال لا يتصف به إلا الله والله واحد كما أثبت توما الإكويني.

إذا يستحيل أن يكون له محل في الله، إلا إذا انعدم الخير وهذا محال لأن الخير الإلهي خير سرمدي مرتبط بكمال الذات الإلهية وإذا كانت صفة الشر تطلق على المخلوقات فلا يمكن إطلاقها على الله على سبيل المشاركة [2]. كما سبق الذكر أن المخلوقات تتصف بالخير على سبيل المشاركة أو المماثلة بالله، إلا أن صفة الشر في المخلوقات لا يمكن أن تكون مماثلة لله فالله يتصف بالكمال كما ذكرها الإكويني في الصفات الإلهية والكمال عكس النقص لذلك فالله الكامل لا يمكن أن يكون خيره ناقص على عكس البشر الذين يتصفون بالخيرية لكن خيرية ناقصة لم تبلغ الكمال.

وعلى هذا فالله هو مصدر الخير لأنه الخير ذاته ،وما يطلق على الأشياء التي فاض عليها الخير من أنها خيرة، إنما يطلق من حيث مشابهتها لبعض معاني الخير الإلهي، فالله هو تمام الخير وما تناله الموجودات الأخرى من خير فإنما هو خير جزئي مشتق مما تفيض الذات الإلهية بطبيعتها من الخير، ومن ثمة لا يطلق إسم الخير على حقيقته إلا على الله الخير، أما إطلاق تلك الصفة على الموجودات فلا يكون إلا على سبيل المجاز [3].

[1] – موالك فاطمة الزهراء: رمزية الشر في الخطاب التأويلي الديني ، ص 39.

[2] – ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الإكويني ،ص 53.

[3] – ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الإكويني ، ص 53.

إذن الله كامل خير لا تمتناه سرمدي، ومن هذه الصفات تتبين وحدانية الله، فلو كان إلهان لاستحال أن يوصفا معا بالخير الأعظم، إذ يقتضي الأمر أن يكون أحدهما أعظم من الآخر[1].

لهذا الصفات الإلهية التي عددها الإكويني، من كمال وخير وحبة وإرادة وقدرة تتضمن الخيرية في كل تفاصيلها، فالخير والشر هما من وضع الله، بالرغم من أن الشر ينعدم فيه إلا أنه وضعه في العالم لكي يضل هذا العالم ناقص ولا يشارك الله في الكمال حسب ما ورد في تفسير توما الإكويني للخير والشر والإلهي.

[1] – ، ميلاد ذكي غالي: الله في فلسفة القديس توما الإكويني ،ص 59.

المبحث الثاني: الخطيئة

تحدث توما الإكويني عن الشر الذي هو المصدر الأول للرذائل، فتكون الشر لدى الإنسان يجعله يخطئ ويقترف الرذائل، لذلك توما الإكويني تكلم عن الرذائل والخطيئة باعتبار أن الفلسفة المسيحية تتحدث بمصطلح الخطيئة أكثر مما تتحدث بمصطلح الشر.

لهذا توما الإكويني يقول فيما يخص الرذائل "**للفضيلة ثلاثة أضداد أولها الخطيئة فإنها تضادها من جهة غايتها، لأن الخطيئة تدل خصوصا على الفعل المذموم كما أن فعل الفضيلة هو الفعل المحمود والواجب، وأما من جهة ما يلزم عن حقيقة الفضيلة هو الصلاح فيضادها الشرية، وأما من جهة حقيقة الفضيلة بالخصوص فيضادها الرذيلة لأن رذيلة كل شيء في ما يظهر أن لا يكون مستعدا لما يلائم طبعه وعليه قول أوغسطينوس في الاختيار ك 3 ب 14 "ما تراه ناقصا من كمال الطبيعة فسميه رذيلة**""[1]. وهذا دليل على أن الرذيلة والخطيئة شرور تقابل الخيرات التي من بينها الفضيلة، فالرذيلة هي عكس الفضيلة، ولما كانت الفضيلة هي فعل الخير فإن الرذيلة هي فعل الشر، لذلك الأفعال التي ينقصها أولا يتضمنها جزء من الخير فهي رذائل وأفعال شريرة.

إذ يرى أن الإنسان يستفيد الحقيقة النوعية من النفس الناطقة ولهذا فكل ما كان مضادا لترتيب العقل فهو مضاد حقيقة لطبيعة الإنسان من حيث هو إنسان ،وما كان موافقا للعقل فهو موافق لطبيعة الإنسان من حيث هو إنسان، وخير الإنسان قائم بموافقة العقل وشره قائم بمضادة العقل كما قال ديونسيوس "**الفضيلة تجعل الإنسان صالحا وفعله حسنا وهي موافقة لطبيعة الإنسان من حيث هي موافقة للعقل، والرذيلة هي مضادة لطبيعة الإنسان من حيث هي مضادة لترتيب العقل**[2]. فكما سبق الذكر أن الأفعال الخيرة صادرة عن العقل الإنساني وهي موافقة له، وأن الأفعال التي لا تصدر عن العقل فهي أفعال شريرة، والرذيلة أو الخطيئة

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 4 ، ص 326.

[2] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 4، ص 329.

مضادة للعقل لذلك الإنسان إن صدرت عنه أفعال لا تندرج تحت مبدأ العقل فهي رذائل يكمن تصنيفها شرور.

وفي حديث توما الإكويني عن الخطيئة قال "**الخطيئة ليست سوى فعل إنساني قبيح وإنما فعل إنساني من حيث هو أرادي، أي صادر عن الإرادة، وإنما يكون الفعل الإنساني قبيحا من حيث يخرج عن الحد المقدر له، وتقدير كل شيء يعتبر بالقياس إلى قاعدة، إذا خرج عنها خرج عن الحد المقدر له، وللإرادة الإنسانية قاعدتان، إحداهما العقل الإنساني والأخرى وهي القاعدة الأولى وهي الشرعية الأزلية التي هي عقل الله**"[1]. وهذا يعني أن الخطيئة هي خروج الفعل الإنسان عن القاعدة المحددة له والتي هي إما العقل الإنساني أو العقل الإلهي، فأفعال الإنسان كما سبق هي أفعال إرادية لذلك فالخطيئة هي فعل إرادي يقوم به الإنسان من دون الرجوع إلى مبدأ عقله أو مبدأ إلهه، فهذان المبدآن إن غاب أحدهما بقي الأخر، لذلك إن تجاهلهما الإنسان كلاهما يعتبر فعله خطيئة أكثر منه شرا.

وكما أن الخطيئة مرتبطة بالأفعال الإنسانية الشريرة فأن توما الإكويني يؤكد فكرة أوغسطين حول مشكلة الشر في العالم ،حيث يقر بأن خطيئة آدم لازالت عالقة بالإنسان أي أن الإنسان ورث الذنب وخطأ أبيه آدم [2]. وهذا تبيان على أن الخطيئة والشرور في العالم ليست انفعالات مترتبة على الإنسان جراء أعمال يقوم بها مخالفا للعقل، بل اعتبر توما الإكويني أن الخطيئة في هذا العالم ورثها أبناء آدم عن أبيهم، أي أن أصل الخطيئة هو آدم والبشرية مجرد ورثة علق بهم ذنب أبيهم.

لكن برتراند راسل* لاحظ أن توما الإكويني تجنب التعرض لمشكلة أعجزت أوغسطين وهي "**إذا كانت روح الإنسان لا تنتقل إليه بالوراثة مع الجسم، بل تخلق روح جديدة لكل**

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 4، ص 238.

[2] – موالك فاطمة الزهراء، رمزية الشر في الخطاب التأويلي الديني ،ص 39.

* – برتراند رسل: 1872–1970 فيلسوف إنجليزي يميل إلى الرياضات درس الفلسفة لتأثره بهيجل ودرس المنطق ونظرية العلم، جورج طرابيشي معجم الفلاسفة، ص317.

مولود، وكانت الروح لا الجسم هي المسؤولية عن ارتكاب الخطيئة، فكيف يكون كل إنسان وارثا لخطيئة آدم"[1]. ومن هنا يظهر أن توما الإكويني وافق رأي أوغسطين في أن الإنسان ورث الخطيئة من أبيه آدم لكنه لم يتعمق في دراسة أوغسطين لموضوع الخطيئة لذا كانت الخطيئة الأولى والتي هي خطيئة آدم، المبدأ الأول لجميع الخطايا.

لهذا توما الإكويني يقول في موضوع خطيئة آدم والإنسان "... **وهكذا ففساد الترتيب الموجود في هذا الإنسان المولود من آدم ليس إراديا بإرادته، بل بإرادة الأب الأول الذي يتحرك بحركة التوليد كل من يصدر عن أصله، كما أن إرادة النفس تحرك إلى الفعل جميع الأعضاء، لذا الخطيئة تصدر عن الأب الأول إلى أولاده، كما تصدر الخطيئة عن النفس إلى أعضاء البدن، ويقال لها خطيئة فعلية، كما أن هذه الأخيرة تقترف بأحد الأعضاء ولا تسند إلى العضو إلا من حيث كونه جزء من الإنسان لذا يقال لها خطيئة إنسانية، كذلك خطيئة آدم الأصلية لا تسند إلى الشخص إلا من حيث يتلقى الطبيعة من الأب الأول**"[2]. وهكذا يؤكد توما الإكويني على أن الخطيئة الأصلية هي خطيئة آدم والبشر هم أولاد آدم، لذا فإرادة البشر تصدر عن إرادة أبيهم الأول، ومن هنا خطيئة البشر تكملة للخطيئة الأصلية.

وتوما الإكويني كبقية المفكرين المسيحيين، يقول بخطيئة آدم التي لازالت عالقة بالإنسان لكنه يقول بأن هذه الخطيئة في أساسها ليست جزءا من الطبيعة البشرية وهي مناقضة لها [3]، لأن الإنسان الأول خلق في حالة برارة أي خلق في حلة نعمة طبيعية وهبها الله له، والخطيئة ليست في الطبيعة البشرية منذ الإنسان الأول لأن الله لا يمكن أن يخلق الخطيئة في طبيعة الإنسان، لذلك هي مكتسبة قام بها الإنسان الأول بإرادته لهذا عاقبه الله، ولم غفر له.

[1] – الشيخ كامل محمد محمد عويضة: توماس الإكويني ،ص 51.

[2] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 4 ،ص 465، 466.

[3] – أبو بكر ابراهيم التلوع: الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي ، ص 177.

لذا يقول في كتابه الخلاصة اللاهوتية "**الخطيئة ضد الفضيلة فمتى خطئ الإنسان نقص بذلك خير الطبيعة الذي هو الميل إلى الفضيلة**"[1]. بطبيعة الإنسان التي فطر عليها تميل إلى الفضائل، والأفعال الخيرة، وبخطيئة الإنسان يحدث نقص في هذا الخير الطبيعي الذي أنعمه الله على عباده، فخير الطبيعة الأولى يصدر عن العقل الذي وهبه الله للإنسان، أما الخطيئة فلا يمكن أن تصدر عن مبدأ العقل، لأن الإنسان العاقل هو الإنسان الذي يتجنب الشرور المنافية لأحكام ومبادئ العقل ،وأيضا كما سبق الذكر المنافية لأحكام الشريعة.

والخطيئة هي عدم إتباع القوانين الأزلية التي وضعها الإله، وهناك من يرى أن عدم إتباع هذه القوانين يعدا كفرا بالله، فإتباع الله يكون بالإيمان وإتباع الأفعال الخيرة التي زرعها في الطبيعة البشرية بالفطرة، لذا وجب التساؤل هل الكفر بالله يعد من أكبر الأخطاء التي يقترفها الإنسان، وهل يمكن أن نصنفه كخطيئة أم كأفعال شريرة تصدر عن إرادة الإنسان المبنية على مبدأ الشر.

لذا يرى توما الإكويني في هذا الصدد أن الكفر ذوا وجهين، كونه أمر عدمي محض يعني أن الكافر هو الذي لا إيمان له، والثاني كونه مضاد للإيمان أي أن صاحبه يرفض سماع الإيمان، وبهذا تكون حقيقة الكفر بهذا الاعتقاد خطيئة، أما باعتبار كونه أمرا عدميا محضا ككفر اللذين لم يسمعوا بالإيمان شيئا فليس له حقيقة الخطيئة بل القصاص لأنه جهل بالإلهيات، لكن الكفرة على هذا النحو يملكون خطايا أخرى لا يمكن اعتبارها دون الإيمان لكنهم لا يملكون خطيئة الكفر وعليه قول الرب في بو 15: 22 "**لو لم آت وأكلمهم لم تكن لهم خطيئة**"[2]. وهذا دليل على أن الخطيئة هي أمر إرادي صادر عن التعقل ، لأن المؤمن كما ورد في قول توما الإكويني إن كان جاهلا بحقيقة الإيمان كان كافرا فهذا الكفر

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 4 ، ص 502.

[2] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 5، ص 488.

لا يمكن أن يحسب في خانة الخطيئة، أما إذا كان عن علم ودراية من الإنسان فهذه خطيئة لا تغتفر إلا بالإيمان والعودة إلى الله.

لذلك كلما كان الإنسان أبعد بالخطيئة عن الله كانت الخطيئة أعظم، والكفر يجعله في غاية البعد عن الله، فلا هو يعرف الله معرفة حقه، ومعرفته الباطلة به لا تقربه إليه بل تبعده عنه، لذا يتضح أن خطيئة الفكر أعظم الخطايا، بخلاف الخطايا المقابلة لسائر الفضائل اللاهوتية [1]. فالخطايا المقابلة لسائر الفضائل كالرذائل لا تقارن بخطيئة الكفر، فحسب توما الإكويني عدم معرفة الله معرفة حقه، ومعرفته معرفة باطلة هي أعظم خطيئة يرتكبها الإنسان، فالله حسب توما هو المبدأ الأول لكل الفضائل التي ينعم بها الإنسان، وإن كان الإنسان جاهلا بربه فالفضائل لن تكون من حقه إلا إذا عاد إلى طريق الإيمان به.

وخطيئة الأب الأول هي علة لما يحدث في الطبيعة الإنسانية من الموت وسائر الآفات، حيث زالت بخطيئة الأب الأول البرارة الأصلية، وبزوال البرارة تتضمن حقيقة العقاب، كزوال النعمة أيضا ومن ثمة كان الموت أيضا وجميع ما يترتب على الخطيئة الأصلية من الآفات عقابا عليها ،على أن هذه الآفات وإن لم تكن مقصودة من الخاطئ فهي منزلة بعدل الله قصاصا له [2]. فالنعمة التي أعطاها الله للإنسان الأول زالت بارتكابه للخطيئة، ومادام ابن آدم وارثا لخطيئة أبيه، فالبرارة أيضا زالت منه، والآفات التي يرتكبها الإنسان بسبب نقص البرارة فيه قصاصا له على أخطائه التي يقترفها، فعقاب الله للإنسان قد يكون في بعض الأحيان إشارة لخطيئة لكي يعرض عنها.

ومن هنا يتحدث توما الإكويني عن دنس الخطيئة ويقول أن للنفس الإنسانية نقاوة ولمعان من وجهين: أولا من جهة إشراق نور العقل الطبيعي الذي به تهتدي لأفعالها ،وثانيا من جهة إشراق النور الإلهي أي نور الحكمة والنعمة الذي به يفعل الحسنة، ومتى تعلقت

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 5 ، ص 491.

[2] – توما الإكويني: الخلاص اللاهوتية، المجلد 4 ، ص 510.

النفس بالمحبة كان لها التعلق بمنزلة اللمس، ومتى أخطئت التصقت ببعض الأمور على وجه ينافي نور العقل والشريعة الإلهية، لذا كان الضرر الذي يمس نقاوة النفس يقال له دنس[1]. فالنفس الإنسانية منذ خليقة الإنسان الأول، كانت حاصلة على نقاوة مبدأها نور العقل أو نور الشريعة الإلهية، وبزوال هذه النقاوة بسبب خطيئة آدم التصقت النفس ببعض الرذائل المنافية للنعم التي كانت سبب هذا النقاء، لذلك زوال هذا النقاء سماه توما الإكويني على سبيل المثال بالدنس.

لذا فدنس الخطيئة يبقى في النفس حتى بعد انقضاء فعل الخطيئة، فمادام الإنسان باقيا بمعزل عن نور العقل وعن نور الشريعة الإلهية يبقى فيه دنس الخطيئة، ولكنه بعد أن يعود بالنعمة إلى نور العقل والنور الإلهي يزول الدنس[2]، لذا أن الدنس يزول بزوال الخطيئة وليس مباشرة، ولكن بحصول النعمة التي يبعثها الله في نفس الإنسان والتي من خلالها يعود الإنسان إلى نور العقل ونور الله وبهذا يتم زوال الدنس وزوال الخطيئة.

ومن خلال هذا نستنتج أن توما الإكويني يرى بأن الخطيئة هي أعظم الشرور التي يمكن للإنسان أن يقترفها، وبهذا يرى أن الإنسان عصى الله بسبب خطأه في الحكم على الخير الذي منحه الله إياه، لذا بقية الخطيئة تنتقل من جيل إلى جيل، وتوما الإكويني يحمل آدم وزر هذه الخطيئة ،لكنه من جهة أخرى حسب دراسة فكر توما الإكويني من الممكن أن يكون قدر للإنسان أن يرتكب الخطيئة لكي ينقص منه الكمال الذي خلق عليه في البرارة الأولى ،فالكمال يكون لله فقط وإرادة الإنسان التي يقترف بها الإثم ربما تكون الثمن الذي يدفعه بسبب الحرية التي منحت له، فلو لم يخطئ آدم لتوازى كمال الله بكمال الإنسان، ولو لم يرتكب آدم الخطيئة لما اختبر الله الإنسان لاستحاق الحياة الأخرى.

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 4 ، ص 515.

[2] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 4 ،ص 516.

المبحث الثالث: الخير والشر وقضية الخلاص المسيحي عند توما الإكويني

إن الخير والشر في الدنيا، هما عبارة عن اختبار للبشر، من خلالهما يكون الثواب والعقاب فالإنسان الخير يثاب على عمله، أما الإنسان الشرير والمخطأ يعاقب على عمله، لذلك قضية الخلاص في الفلسفة المسيحية هي بمثابة النعمة الإلهية التي أنعمها الله على البشر، فمن خلالها يمكن للمخطأ أن يتوب عن خطأه ويعود إلى الصواب، فكما منح الله البشر الحرية في تتبع الخير أو الشر، أيضا منحهم الحرية في التوبة والشعور بالصواب والخطأ.

ومن خلال هذا نجد توما الإكويني يتحدث عن تبرير الله للآثام، وعن استحقاق العقاب في الحياة الأخرى، التي من خلالها تكون نتيجة الخير والشر في الدنيا، وهنا تظهر مهمة الله في محاسبة عباده، لذا نجد توما الإكويني تابع أوغسطين في موقفه من مشكلة اختيار الله بعض الناس للهدى دون بعض، فصرح بأن هذا مما يعجز العقل عن تعليله، فقال عن اشتراط التعميد لدخول الجنة وحاول التوفيق بين عدم جواز التغير على الله وحكمته وبين جدوى الدعاء والابتهال إلى الله لتغيير قضائه [1]. لذا قضية الخلاص المسيحي متعلقة بالخير والشر الذي يقوم به الإنسان في الدنيا بالإضافة إلى جدوى الدعاء والابتهال إلى الله كما ورد في رأي توما الإكويني، فالله هو من يقرر من يستحق الثواب ومن يستحق العقاب، لأن هناك خطايا لا تغتفر حتى من الله ،إذن الإنسان ومن خلاله فعله الحسن أو القبيح يستحق العقاب أو الثواب.

فمن خلال هذا نجد توما الإكويني يقول: "... **فإذا من يحسن أو يسيئ إلى فرد يحصل له بذلك استحقاق الثواب والعقاب من وجهين، أي من حيث يستوجب الجزاء من ذلك الفرد الذي أساء أو أساء إليه، ومن حيث يستوجب من الإجتماع كله، ومن أحسن أو أساء إلى نفسه يستوجب أيضا الجزاء باعتبار أن الإنسان يجب أن يعدل في حق نفسه،**

[1] – الشيخ كامل محمد محمد عويضة: توماس الإكويني ،ص 50، 51.

لذلك الفعل الحسن والقبيح يعتبر فيه استحقاق الثواب باعتبار الجزاء العدل بالنسبة إلى الغير"[1]. وهذا يعني أن استحقاق الثواب والعقاب لا يكون على اقتراف الخطيئة فقط، بل الأفعال الحسنة والقبيحة سواء كانت اتجاه النفس أو اتجاه المجتمع، فهي تستحق المجازاة وهذه الأخيرة تكون إما بالخير الذي هو الثواب وإما بالشر الذي هو العقاب.

ومن هنا ننتقل إلى مقترف الخطيئة والثواب والعقاب، نجد آراء الإكويني نفسها آراء أوغسطين على وجه التقريب، فالخطيئة الخلقية تضيع على مقترفها خاتمته الأخيرة إلى أبد الآبدين، ولذا يحق عليه العذاب الأبدي، ويستحيل على إنسان أن ينجوا من الخطيئة إلا برحمة الله [2]. وهنا تظهر الخيرية الإلهية كما سبق الذكر في المبحث الأول، فمقترف الخطيئة عقابه العذاب الأبدي، لكن العدل الإلهي يغمر عباده بالرحمة والمغفرة، فكثرة الدعاء والتكفير عن الخطيئة تقصي الإنسان من العذاب الأبدي، فالإيمان كما ذكرنا سابقا يمكن أن يخلص الإنسان من الإثم، فكما نعرف أن الدين المسيحي لديه طقوس إلهية لمقترف الخطيئة.

لكن توما الإكويني يرى بضرورة استحقاق العقاب في قوله: "**ولما كانت الخطيئة فعلا غير منتظم فأن كل من يخطأ يخالف في فعله نظاما، فيلزم أن يقمع وهذا القمع هو العقاب، فالإنسان يمكن عقابه بحسب الأنظمة الثلاث، فطبيعة الإنسانية تخضع أولا لنظام العقل وثانيا لنظام إنسان أجنبي مدبرا تدبيرا روحيا أو سياسي أو اقتصادي وثالثا لنظام السياسة الإلهية وهذه الأنظمة تفسد بالخطيئة لأن الذي يخطأ ضد هذا العقل وضد الشريعة الإنسانية، وضد الشريعة الإلهية له ثلاث عقوبات الأولى من نفسه وهي وخز الضمير والثانية من الإنسان والثالثة من الله**"[3]. فالخطيئة تفسد الأنظمة الطبيعية في

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 3 ، ص 422.

[2] – برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ج2، تر: زكي نجيب محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب،د ط، 2010، ص 239.

[3] – توما الإكويني الخلاصة اللاهوتية، المجلد 4، ص 518، 519.

الإنسان وبالتالي حسب رأيه العقاب يلحق بالخطيئة كونها شر محض، غايتها الفساد المطلق للإنسان، لذلك استحقاق العقاب حسب توما الإكويني ليس لتجنب الخطأ واقتراف الخطيئة فقط، بل لتجنب ما ينجم عن الخطيئة من فساد روحي، فإذا سار الإنسان ضد العقل وضد الشريعة، النظام الكوني لن يسير كما دبر له الله.

لذلك الإنسان لكي ينجو من الخطيئة يجب أن يرجع إلى الله لينعم برحمته، فالملائمة واقعة على المخطئ إن لم يرتد عن الخطيئة، فالإنسان بحاجة إلى رحمة الله حتى يتمكن من المضي في الخير[1] . فالإنسان يضل ناقصا دون العودة إلى الله، ومقترف الأفعال الشريرة أو الخطيئة سيعاقب على خطيئته إلى أبد الآبدين، إن لم يستعن برحمة الله التي تعتبر بالنسبة إليه الخلاص، فالله هو من خلق الإنسان وهو من أعطاه حق الحرية، وأيضا هو من له الحق في توزيع خيراته بين الناس، وهو من له الحق في مغفرة الذنب لذلك بالرغم من الشر الإنساني فإن الله في بعض الأحيان يقابله بالخيرية الإلهية التي تتمثل في نعمته ورحمته ومغفرته.

فنجده يقول "**بمحبته وطاعته قدم المسيح المتألم لله شيئا أكثر من المطلوب لتعويض الله عن جريمة الإنسانية، أولا لعظمة الحب الذي جعله يتألم، وثانيا بسبب قيمة هذه الحياة التي قدمها كترضية ... لذلك فإن آلام المسيح لم تكن فقط كافية بل كانت ترضية فائضة عن الحاجة عن الخطايا البشرية وعن استحقاقهم للعقوبة، لقد كانت آلامه هي الثمن الذي حررنا من تقديم الترضية أو تنفيذ العقوبة**"[2]. وهذه تضحية المسيح من أجل مغفرة الله ففداء المسيح كان بآلامه وإيمانه، فخطيئة الإنسان سحبت عدل الله المنتشر في الأرض لذلك الإنسان يمكنه النجاة من العقاب بتقديم تضحية حسب المصطلحات المسيحية.

[1] – كامل محمد محمد عويضة: توماس الإكويني ، ص 124.

[2] – هاني مينا ميخائيل: العدالة الإلهية، ط1، 2009، ص 318.

فيرى توما الإكويني أن المسيح بتألمه حقق كل متطلبات القانون ... وعدالة القانون التي كانت قد وضعت لتطالب بحقوق المتضررين، المسيح حقق بآلامه وتسميره على الصليب متطلبات العدالة التي كانت على الإنسان لأنه أكل الثمرة متعديا على وصية الله[1]. فبالخطيئة التي ورثها البشر عن أبيهم آدم أصبحوا مطالبين بالفداء والتضحية لنيل رضا الإله الذي تجاهلوا أمره في تجنب اقتراف الخطيئة، فالعدالة الإلهية في استحقاق العقاب، المسيح بآلامه وتضحيته حققها، لذلك منذ ذلك الحين أصبح على مقترف الخطيئة أو الأفعال الشريرة الفداء والتضرع والإيمان من أجل تجنب العقاب، فالتمسك بالخطيئة قد يؤدي إلى الجحيم والعذاب الأبدي لأن الله خلق الطبيعة الإنسانية خيرة وميزها بالعقل الإرادة والحرية، والأخطاء هي من وضع الإنسان وأن لم يعرض عنها عوقب عليها، لأنه اعترض على نعمة الشرعية الإلهية الخيرة التي تنفر من الشر.

فالإنسان باقترافه الخطيئة يهين الله، والإهانة لا تغتفر إلا برضا المهان عن المهين، ولهذا إنما يقال أن الخطيئة تغتفر لنا من حيث أن الله يرضى عنا، وهذا الرضا قائم بالمحبة التي بها يحبنا الله، ومفعول المحبة الإلهية فينا، الذي يفقد بالخطيئة هو النعمة التي بها يصير الإنسان أهلا للحياة الأبدية التي تحرم بالخطيئة المميتة، ولهذا يستحيل تصور مغفرة الخطيئة من دون تصور فيض النعمة [2]. فإهانة الله تقتضي الندم لأن المحبة الإلهية التي يخسرها الإنسان بالخطيئة لن يجدها في اللذة المترتبة عن الخطأ والشرور، لأن المحبة الإلهية أزلية، نقية، خيرة، نتائجها مرضية للإنسان، فهي نعمة لا يمكن التخلي عنها ومن يتخلى عنها لن تعود إليه إلا بالتضرع، ففي الأول وفي الأخر الله هو الذي يحيي وهو الذي يميت، وما على الإنسان إلا العودة إلى الله مهما طغى في عصيانه.

فإذا من يفعل الشر الذي لا يمكن توجهه إلى الله يرعى حرمة الله التي تستجوبها الغاية القصوى، وأما باعتبار الاجتماع الإنساني بأسره فلأن كل من يقوم بتدبير اجتماع يتولى على

[1] – المرجع نفسه، ص 318.

[2] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 5 ، ص 332.

الخصوص العناية بالخير العام، وعليه فهو الذي يجازي على ما يفعل في الاجتماع من حسن أو قبح والله هو مدبر الكون كله بالعموم، ومدبر المخلوقات الناطقة بالخصوص، فيتضح إذن الأفعال الإنسانية يترتب عليها استحقاق الثواب والعقاب، بالقياس إليه تعالى، وإن لم يكن له عناية بالأفعال الإنسانية [1]. فيما أن الإنسان يسعى إلى السعادة الأبدية فإن السعادة هي الله، لذلك الإنسان مهما كان خطأه ومهما كانت مدة ابتعاده من الله إلا أن الله هو من يحدد مصيره، وهو من يقرر حياته في الآخرة، فمن كان له حق خلقه يكون له حق التصرف فيه.

[1] – توما الإكويني: الخلاصة اللاهوتية، المجلد 3 ص 424.

مادام الإنسان يستطيع التمييز بين الأفعال الخيرة والأفعال الشريرة لأنه يتميز بالعقل، وما دام أبضا يتميز بالعقل فهو يعرف أن الخالق وضع له قواعد يتبعها وقواعد عليه تجنبها، فكيف يمكن أن يقترف الخطيئة وهو عن دراية بها، لذلك فالله وضع قاعدة مفادها أن الخير في العالم المحسوس يقابله الثواب والخلود في العالم المعقول، والشر في العالم المحسوس يقابله العقاب في العالم المعقول حسب رأي توما الإكويني فالخيرة التي يتصف بها الخالق تفيض على خلقه لذلك كلما كان الإنسان قريبا منه نعم بهذه الخيرية وكلما كان بعيدا عنه حرم منها. ومن هنا نستنتج أن الطبيعة الأولى للإنسان خلقت خيرة لكنه بإرادته اختار إتباع الجهة المعاكسة، لذلك وضع نفسه وأعماله أمام ميزان الحكم فمن اتبع الإيمان والأعمال الخيرة حضي بسعادة الدنيا وسعادة الآخرة وإن اختار الاستمرار في العصيان حضي بالعقاب والعذاب في كل من المكانين.

هكذا يتبين أن توما الإكويني يتخذ من الشر موقفا حيث يجرده من أية حقيقة موضوعية ،فالله تعالى خير محض ولا يصدر عنه إلا الخير ،فالشر مشكلة إنسانية تتعلق بالوجود المادي ولا تتجاوز ذلك .فالشر كما يقول أفلاطون أساسه العنصر المادي في هذا الموجود ،لكن الإنسان يمكن ان يتجاوز هذا الشر ،وهذا التجاوز لا يكون بالعقل فقط، فالعقل وحده عاجز على الوصول للخير الأقصى ، وهذا يدفعه إلى العودة إلى الدين و الجانب اللاهوتي لبلوغ هذا الخير[1] .

فبينما اقتصر القديس اوغسطين على اعتبار القيمة اشراقا يهبط من الله اى الانسان ، و أن على الانسان ان يتعرض لهذه النفحة ،فإن القديس توما الاكويني يجعل القيمة ماثلة في مسعى ينطلق من الارادة المستنيرة بنور العقل ، و يرقى نحو الله فيحدث بذلك الخير الخاص بالإنسان الذي يتقيد بالخير الاسمى وهو يتطلع اليه[2] .

[1]– ابو بكر ابراهيم التلوع: الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، ص121–122.

2– عبد الحليم بن حجبة: القيم الأخلاقية بين المطلق والنسبي، دراسة تحليلية نقدية لنظرية القيم الأخلاقية عند كانط، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، فلسفة القيم، قسم الفلسفة، جامهة وهران، كلية العلوم الإجتماعية، 2014، ص21.

هكذا يتبين أن توما الإكويني يتخذ من الشر موقفا حيث يجرده من أية حقيقة موضوعية ،فالله تعالى خير محض ولا يصدر عنه إلا الخير ،فالشر مشكلة إنسانية تتعلق بالوجود المادي ولا تتجاوز ذلك .فالشر كما يقول أفلاطون أساسه العنصر المادي في هذا الموجود ،لكن الإنسان يمكن ان يتجاوز هذا الشر ،وهذا التجاوز لا يكون بالعقل فقط، فالعقل وحده عاجز على الوصول للخير الأقصى ، وهذا يدفعه إلى العودة إلى الدين و الجانب اللاهوتي لبلوغ هذا الخير[1] .

فبينما اقتصر القديس اوغسطين على اعتبار القيمة اشراقا يهبط من الله اى الانسان ، و أن على الانسان ان يتعرض لهذه النفحة ،فإن القديس توما الاكويني يجعل القيمة ماثلة في مسعى ينطلق من الارادة المستنيرة بنور العقل ، و يرقى نحو الله فيحدث بذلك الخير الخاص بالإنسان الذي يتقيد بالخير الاسمى وهو يتطلع اليه[2] .

[1]– ابو بكر ابراهيم التلوع: الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي، ص121–122.

2– عبد الحليم بن حجبة: القيم الأخلاقية بين المطلق والنسبي، دراسة تحليلية نقدية لنظرية القيم الأخلاقية عند كانط، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، فلسفة القيم، قسم الفلسفة، جامهة وهران، كلية العلوم الإجتماعية، 2014، ص21.

الخاتمة:

إن البحث في الحياة الأخلاقية في نظر القديس توما الإكويني والكشف عما تنطوي إليه آيات الخير والشر عنده جعلتنا نكتشف الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية في آن واحد، لذلك ومن خلال كل ما مضى يمكن الإجابة عما طرح في المقدمة من أسئلة بالنتائج التالية:

الخير بصورة عامة يشمل كل ما يحقق منفعة خيرة أو سعادة إنسانية وهو لا يتعلق بمجال معين بل يشمل جميع المجالات.

الشر هو ضد للخير لذلك كثيرون من يرون أن الخير وجد أولا والشر جاء مضادا له، أي أنه لولا الخير لما وجد الشر. فكما أنه من خلال الخير يأتي الشر أيضا من خلال الشر يمكن تمييز الخير، فالشر لا يفهم بمعزل عن الخير.

حسب الفلسفة المسيحية الله خلق الإنسان كاملا ومليئا بالطاقة الايجابية الخيرة، والشر في العالم المحسوس هو عبارة عن نقص في هذه الكمالات.

الإنسان رب أفعاله، وما يميزه عن الجمادات هو العقل والإرادة والحرية، لذلك ما يصدر عنه يحاسب عليه هو فقط.

الأعمال الصادرة عن الإنسان تصدر عن إرادة فحسب توما الإكويني فهو يفعل من أجل غاية يريد تحقيقها فلولا ذلك لما ميزه الله بالحرية والإرادة.

الخير والشر نقيضان لا يمكن معرفة أحدهما دون العودة إلى الآخر، فتوما الإكويني عبر عن الشر على أنه نقص في الخير وبهذا حاول القول بأنه لم هناك وجود لا شر بل أتى من خلال الخير.

الخير والشر لا يأتيان صدفة أو بقدر من الله، بل هما نتيجة الأفعال التي تصدر جراء انفعالات الإنسان.

ربط توما الإكويني بين العقل والنقل حتى في دراسته لأفعال الإنسان، ففلسفة توما الإكويني لا تخرج عن القضاء الإلهي ولا بشكل من الأشكال، فالله منح الإنسان الإرادة والحرية لكنه قيده بالعمل بها بما يرضيه.

إتباع نور العقل والنور الإلهي بالنسبة لتوماس الإكويني هو طريق الإنسان لبلوغ الخير الأسمى الذي من خلاله تتحقق سعادته.

صدور الانفعالات من الإنسان، أحيانا سابقة لحكم العقل وأحيانا أخرى لاحقة له، ومن خلالها يتحدد تصنيف الأفعال في معيار الخير والشر.

الانفعالات الخيرة تكون واضحة ويمكن ملاحظتها، أما الانفعالات المصنفة في خانة الشر قد تظهر كذلك للعيان لكنها في بعض الأحيان ولدى بعض المفكرين انفعالات غايتها خيرة أكثر من كونها شريرة مثل الغضب والخوف.

خير الإنسان قائم بموافقة العقل الإنساني من جهة والعقل الإلهي من جهة أخرى، وشره قائم بمخالفتهما فالأفعال التي تصدر عن تعقل هي أفعال خيرة والأفعال التي لا تصدر عن تعقل هي أفعال شريرة تسمى في الفلسفة المسيحية بالرذائل أو الخطيئة.

ربط توما الإكويني الخير بالله كون الله هو الخالق، ولا يمكن بعظمته وسموه أن يخلق الشر في العالم، لذلك حسب توما الإكويني الله الخير هو من وضع خيره في لذا منه يفيض الخير في العالم المحسوس.

كل الصفات الإلهية من عدل ومحبة وإرادة هي صفات تعم جميع المخلوقات، فمن خلالها تظهر خيرية الله في العالم، والإنسان لا يمكنه أن يتبع طريق الإيمان دون معرفة هذه الصفات والإيمان بها فمحاكاة الإنسان لله الخالق هي طريق بلوغ الخير والسعادة الأبدية.

عدم معرفة قيمة الخير الذي منحه الله للإنسان جعله يقع في الخطيئة وارتكاب الآثام، فعصيان الإنسان لله انتقل من جيل إلى جيل بسبب خطأ في الحكم على الخير الإلهي.

أن الخلاص المسيحي لا يمكن أن يتم إلا بالعودة إلى الله، فمهما كانت الطقوس التي يمارسها الإنسان فأن الغفران لا يكون إلا بأمر من الله لذلك وجب الاستعانة برحمة الله لتجنب العقاب الأبدي، فمن كان له حق خلقه كان له حق التصرف فيه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر :

1. توما الإكويني :الخلاصة اللاهوتية ،مج1،تر:الخوري بولس عواد ،المطبعة الأدبية ،بيروت ،1887
2. توما الإكويني :الخلاصة اللاهوتية ،مج2،تر:الخوري بولس عواد ،المطبعة الأدبية ،بيروت ،1889
3. توما الإكويني :الخلاصة اللاهوتية ،مج3،تر:الخوري بولس عواد ،المطبعة الأدبية ،بيروت ،1891
4. توما الإكويني :الخلاصة اللاهوتية ،مج4،تر:الخوري بولس عواد ،المطبعة الأدبية ،بيروت ،1898
5. توما الإكويني :الخلاصة اللاهوتية ،مج5،تر:الخوري بولس عواد ،المطبعة الأدبية ،بيروت ،1908

قائمة المراجع :

1. أبو بكر إبراهيم التلوع :الأسس النظرية للسلوك الأخلاقي ،دار الكتب الوطنية ،بنغازي ،دط ،1995.
2. أحمد أمين : كتاب الأخلاق ،دار الكتب العربية ،القاهرة ،ط3 ،دت.
3. أحمد فؤاد الأهواني : أفلاطون دار المعارف ،ط1
4. أرسطو طاليس : علم الأخلاق إلى نيقوماخوس ،ج1،تر:أحمد لطفي السيد ،دار المكتبة المصرية ،القاهرة ،دط،دت.
5. أوغسطينوس :إعترافات القديس أوغسطينوس ،تر:الخوري يوحنا الحلو ،دار المشرق،بيروت ،ط4 ،1991.

6. ايتين جلسون : روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ،تر: الإمام عبد الفتاح إمام ،مكتبة مدبولي ،ط3 ،1996.

7. برتراند راسل :تاريخ الفلسفة الغربية ،ج2 ،تر:زكي نجيب محمود ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط ،2010 .

8. رمضان الصباغ :الأحكام التقويمية في الجمال و الأخلاق ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية ،ط 1 ،1998 .

9. الشعراوي : الخير والشر ،مكتبة الشعراوي الإسلامية ،القاهرة ،دط،دت.

10. عادل العوا : العمدة في فلسفة القيم ،طلاس للترجمة و النشر ،دمشق ،ط1،1986

11. علي زيعور :أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية ،دار إقرأ ،بيروت ،ط1 ،دت.

12. كامل محمد محمد عويضة :توماس الإكويني ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1،دت .

13. لويز ويكنسون : فلسفة الخير ،تر: رمزي حليم يسى،مكتبة الأنجلو العربية ،دط،2001.

14. محمد عثمان الخشت : مدخا إلى فلسفة الدين ، دار قباء للطباعة والنشر ،القاهرة ،دط ،2001.

15. محمد مهران رشوان : تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية ،دار قباء للطباعة والنشر ،القاهرة ،دط،1998.

16. مصطفى عبده :فلسفة الأخلاق ، مكتبة مدبولي ،القاهرة ،ط2،1999 .

17. ميلاد ذكي غالي : الله في فلسفة القديس توما الإكويني ،مركز الدلتا للطباعة والنشر ،الإسكندرية ،دط ،. دت.

18. هاني ميخائيل :العدالة الإلهية ،ط1 ،2009 .

19. يوسف كرم :الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ،هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ،دط ،2012 .

المعاجم :

1. إبراهيم مدكور المعجم الفلسفي ،الهيئة العامة لشؤون المطابع ،القاهرة ،د ط ،د ت.
2. جميل صليبا :المعجم الفلسفي ،ج1 ندار الكتاب اللبناني بيروت ،دط ، 1982
3. جميل صليبا :المعجم الفلسفي ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،د ط،1982.
4. جورج طربيشي :معجم الفلاسفة ،دار الطليعة ،بيروت،ط2006،3.

الموسوعات :

1. فؤاد كامل :الموسوعة الفلسفية المختصرة ،دار القلم ،بيروت ،د.ط، د.ت.

المجلات والدوريات :

1. إ.م.بوتشنسكي :الفلسفة المعاصرة في أوروبا ،تر : د.عزت قرني ،عالم المعرفة ،العدد 165.
2. أمل مبروك عبد الحليم :مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة ،مجلة كلية الادب ،جامعة عين شمس ، العدد100.

الرسائل الجامعية :

1. عبد الحليم بن حجبة: القيم الأخلاقية بين المطلق والنسبي، دراسة تحليلية نقدية لنظرية القيم الأخلاقية عند كانط، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير، فلسفة القيم، قسم الفلسفة، جامهة وهران، كلية العلوم الإجتماعية، 2014
2. فاطمة الزهراء موالك :رمزية الشر في الخطاب التأويلي الديني (بول ريكور)،رسالة ماجستير ،قسم الفلسفة ،جامعة وهران ،كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ،2014

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول: منطلقات فكرة الخير والشر.	6
المبحث الأول: الخير والشر كمفهوم.	7
المبحث الثاني: الخير والشر في الفلسفة المسيحية.	17
المبحث الثالث: طبيعة الفعل الإنساني عند توما الإكويني.	22
الفصل الثاني: تجليات الخير والشر في الفعل الإنساني.	30
المبحث الأول: الفعل الإنساني وميزات الخير الشر.	31
المبحث الثاني: الخير والشر وعلاقتهما بالإرادة.	39
المبحث الثالث: تصنيف الانفعالات.	43
الفصل الثالث: الخير والشر وعلاقتهما بالجانب اللاهوتي عند توما الإكويني.	51
المبحث الأول: الخير والشر والصفات الإلهية.	52
المبحث الثاني: الخطيئة.	63
المبحث الثالث: قضية الخلاص المسيحي عند القديس توما الإكويني.	69
خاتمة	79
قائمة المصادر والمراجع	83
فهرس الموضوعات	87